

كبيرة

1202
١٢٠٢



WWW.REWITY.COM

مرمورية

قل لي من تحب



صادر عن دار م. النحاس

قل لي من تحب

رالف فلدر، مدير فندق عائلة فلدر الشديد. كان قد خذل في الماضي ولم ينو بعدها ان يسلم رأسه او قلبه لأي انسان على وجه الأرض. من دون شك، كان رالف يجد ليديا جذابة، وكانت خطوبتهما المزيفة تساعده على تحقيق بعض مأربه، ولكن ما الجدوى من ان تقع ليديا في حبه ان كان ذلك الحب لا يحمل لها سوى الألم وخيبة الألم؟

لبنان: ٣٠٠٠ ل ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس: ٢ دينار - مصر: ٧ جنية



52-87000-34707-5

قل لي من تحب

«اعترفني بأني الشخص غير المرغوب به قبلك..»

كلا! كان صوت في داخلها يأمرها، اعترفني، لنفسك فقط، بأن الشخص المرغوب به..

«نعم، أنت الشخص غير المرغوب به.»
سمعت صوتها الهاديء يهتف، وهي تكاد لا تصدق ما تسمعه. «والآن هلا غادرت من فضلك؟»

«أنت تبحثين عن شخص مثالي، إنسة هاييلي. لن تجدي هذا الشخص أبدا إلا في أحلامك.»

الفصل الاول

لم يخطر على بال ليديا التساؤل عما اذا كان من المفترض بها ان تشارك في الرحلة أم لا، الا عندما بدأت الطائرة بالهبوط، عندها فقط، فكرت ليديا انه كان من الاحرى بها الا تشارك بأي رحلة.

تقاعد المهندس المعماري الذي كانت تعمل لديه، وأصر خلفه على احضار سكرتيرته الخاصة معه. عندها، رأّت ليديا مستقبلها ينهار امام عينيها.

قال لها جورج الوين: «انني أسف جدا. ولكن يبدو انني عاجز عن مد يد المساعدة لك حتى تتمكني من الاستمرار بالعمل في هذه الشركة.»

قالت ليديا وقلوبها يتقطع حزنا: «انني اتفهم الوضع، سيد الوين. وأنا اشكرك وأقدر لك كل ما فعلته من اجلي، خصوصا بالنسبة للمبلغ الذي دفع كتعويض لي، فهو سيساعدني كثيرا لاحقا.»

ما كان من السيد الوين الا ان ابتسم وهز برأسه، ثم ركز اهتمامه على شؤون اخرى.

ولكن ليديا لم تستطع حقا تفهم الوضع، وكان هذا ما قالت له لرايموند فلدر، ذلك الشاب الذي يسكن في غرفة مجاورة لغرفتها، في المنزل الواقع في إحدى ضواحي لندن والذي يتقاسمناه مع شخصين آخرين.

قال رايموند لها وهو يرفع كتفيه: «إذا... استعلمي المال الذي حصلت عليه للتمتع بعطلة جميلة. انني اعرف...»

وجال في أرجاء الغرفة، توقف بعدها عن الكلام وقطب حاجبيه إذ رأى الحدائق الخلفية للمنزل ثم عاد يتأمل تلك الحديقة التي كان النزلاء يتقاسمونها. هي والمستنقعات و... ثم تغيرت تعابير وقسمات وجهه إذ تابع: «حيث المناظر هي اجمل بكثير من تلك التي نراها الآن في الخارج.»

اجابته ليديا: «لا يمكنني تحمل نفقات رحلة كهذه، ولكن شكراً لك على اقتراحك. سوف اقوم برحلة الى سويسرا في يوم من الايام ربما وذلك ان حصلت من جديد على عمل.»

«لا، لا، سوف تأتيين الى لوسيرن كضيفتي. سوف تكونين ضيفة لدى عائلتي، لأننا نعيش في فندق. هناك منزل نقوم بتجديده للإقامة فيه... ابي، أخي، أختي، وأنا... ولكننا الآن نقيم في فندق بانوراما الكبير، ذلك الى ان يغدو المنزل جاهزاً للسكن.»

«يبدو ذلك رائعا، يا رايموند، ولكن لا يمكنني الموافقة على امر كهذا. كيف لي ان اكون ضيفة العائلة وأنا لم اقابل اي فرد منها سواك حتى الآن؟ ان امك...»

هز رايموند رأسه وقال: «لقد فقدناها منذ عدة سنين.»
اكملت ليديا كلامها بعد فترة: «انني أسفة جداً. حسناً، ان والدك، اذن، هذا دون ان أتى على ذكر اخيك.»
«لا تأتي على ذكره هو بالأخص. انه يكبرني بتسع سنوات... وهو يعتقد ان فارق السن هذا يعطيه الحق بأن يتحكم بتحركاتي ويبيدي اراءه بتصرفاتي. هو كذلك متحيز للرجال ويكره النساء.»

بعد ان قامت ليديا بعملية حسابية بسيطة، ادركت ان أخ رايموند قد تجاوز الثلاثين بقليل، وهو يكبرها بست سنوات: «حسناً، بما ان النسوة يشكلن نصف عدد السكان في العالم، فلا بد ان اخاك يقضي معظم اوقاته وهو متجهم الوجه.»

قال رايموند موبخاً اياها: «لا تخطئي فهمي، انه يقدر كل ما تستطيع المرأة تقديمه، هل تعلمين؟» ثم رسم بعض الاشكال الدائرية في الهواء. وأضاف: «انه يكره النساء لأن المرأة التي كان مصمماً على الزواج منها قد تخلت عنه لترتبط برجل أكثر ثراءً. وذلك بثلاثة اضعاف. لقد كان أخي فتياً جداً كذلك بياترس التي كانت حبه الأول. لذلك، فقد جرحه تصرفها جرحاً عميقاً، حتى انه اقسام بالآي يقع في حب امرأة اخرى مجدداً. فهو يقول ان النساء يبحثن فقط عن الثروة والمكانة الاجتماعية الرفيعة عند الرجل. فبرأيه، الحب لا يدخل في الحسابات النسائية.»
وهمت ليديا بالتعبير عن سخطها لهذا الحكم غير العادل من قبل أخ رايموند، ولكن هذا الأخير اكمل كلامه.

«هل تفهمين ما أعنيه؟»

«اذن، انا اعتبر نفسي محظوظة. لأنني لن التقى ابداً بهكذا رجل.»

«لكن لا تجعلني ذلك حاجزاً يمنعك من المجيء. كان يجب عليّ الا أتى على ذكر رالف من المرجح انك لن تتعرفي عليه ابداً. ذلك ان هوسه الآخر في الحياة هو العمل. انه رئيس شركة هندسة في زيوريخ، وعمله هذا يتطلب منه الكثير من الوقت. طبعاً ذلك لا يمنعه من تكريس

ساعات عديدة للقاء صديقه. انها بريطانية، اما اسمها فهو لورا مارشان هي صحفية اقتصادية. ذات تفكير منطقي سليم... حسنا، يمكنك التكهن أليس كذلك؟ إذن، حتى لو أتى أخي العزيز الى مكان اقامتنا، فهو على الأرجح لن يلاحظ حتى امر وجودك. هل هذا كاف لاقتناعك على مرافقتي؟»

ساورت ليديا بعض الشكوك لم تستطع معرفة اسبابها. فقالت: «هل ستكون اختك موجودة في الفندق؟»

اجاب: «مارتينا؟ لن تكون هناك في بادئ الأمر، ولكنها ستحضر بعد قدومنا. انها تؤسس مشغلا ولكنها حسنا، لا بأس بها. فهي ليست قاسية او أي شيء من هذا القبيل. انها تعمل في مجال الأزياء. نعم الأزياء وتصميم الملابس. وهي الآن في الخارج بداعي العمل.»

عادت ليديا الى الواقع، فقامت بتثبيت حزام الأمان، ثم اغمضت عينيها وتساءلت عن صحة ما قامت به. ثم تمننت لو انها لم تدع رايموند يقنعها بالقيام بهذا خطوة. كان رايموند قد أنهى سنة اختبار كمحاسب في مكتب عمه القائم في وسط لندن. وقد اظهر الكثير من الفرح عندما وافقت ليديا على عرضه، ثم سافر قبلها بينما كانت ليديا لا تزال تنتهي الاجراءات المتعلقة ببلاغها الى الشركة وتهتم بترتيب امورها. وكانت قد تخلت عن غرفتها لفتاة اخرى، وحين غادرت متجهة نحو المطار، شعرت بأنها قطعت تماما طريق العودة. كانت قد شعرت بالحماس بعدما اقفلت الباب وراها ولكنها احست ايضا بالخوف فهي لم تستطع انكار الأمر. كان يجب

عليها الاقتصاد في النفقات، لذلك، لم يكن يجدر بها الاقدام على خطوة مماثلة والذهاب في رحلة استجمام. وبالرغم من ان رايموند قد رحب كثيرا بإقامتها في الفندق كضييفة، فهي لم تتو ابدا قبول عرضه السخي بل انها كانت مصممة على استعمال مدخراتها طوال فترة اقامتها في سويسرا كذلك، قالت معزية نفسها: «لم تكن تكاليف الإقامة في فندق بانوراما الكبير باهظة، والا، فكيف يفسر امر إقامة عائلة فلدر في ذلك الفندق خلال فترة طويلة؟» وكانت ليديا قد حزمت حقائبها ووضعت فيها بعض الكتب الكافية لفترة اقامتها القصيرة، ولكن، بالرغم من ذلك، فقد كانت حقيبتها السفر وحقيقية يدها التي حملت على عربة الترولي ثقيلة يصعب تحريكها. كان رايموند قد وعد بملاقاتها عند وصولها الى المطار، وقد شعرت بكثير من الارتياح اذ كان واقفا بين الجموع. كان قد مضى سنة على لقائهما، ولكن، خلال تلك الفترة، لم يشعر احدهما تجاه الآخر سوى بحرارة الصداقة. وقد توقف الامر عند هذا الحد.

التقت ليديا باستمرار، خلال عدة اشهر، ديس كايسي، وهو موظف في شركة لتصميم الأزياء وقد احبته كثيرا، ولكن ذلك الشعور الذي يفوق الاعجاب كما ادعى كايسي، اذ عبر عما يشعر به تجاهها، وقد اختفى بسرعة عندما انضمت مهندسة شابة الى الشركة. اما رايموند، فقد كان دوما لطيفا وسخيا، وقد اظهر تجاهها عاطفة خالية من الأنانية، لذلك، فقد وافقت ليديا على بناء علاقة صداقة معه.

استقبلها رايموند في المطار بحرارة: «مرحباً، يسرني رؤيتك من جديد، يا ليديا. انا اعرف مواعيد القطار عن ظهر قلب، وان توجهنا نحو المحطة الآن، سوف نكون في الموعد المحدد لنستقل القطار القادم. ان المحطة موجودة تحت مبنى المطار، لذلك علينا النزول الى الطابق السفلي. اتبعيني..»

فعلت ليديا كما قال لها رايموند. تعجبت من قوته اذ كان يلوح بالترولي الذي اخذه من يدها بعد ان تجاوز الحشود المجتمعة.

«انظري كيف ان عربة الترولي هي مصممة بذكاء كبير، فنحن نستطيع ايصالها بسرعة الى السلم الدوار.»
قالت ليديا: «ان ذلك رائع.» وهي تقف الى جانبه وتفكر كيف يمكن لدوايب عربة الترولي الوقوف على السلالمة المتحركة.

قال رايموند مماًزحاً وهو ينظر اليها: «ان المهندسين السويسريين هم اذكاء جداً، اليس كذلك؟» متابعاً: «ان اخي هو في عدادهم.» ودفع عربة الترولي بقوة حتى غدت على مستوى ارض الطابق السفلي وتابع عملية دفعها وهو يرمي ليديا ببعض النظرات الخاطفة اذ كانت تمشي بالقرب منه: «انني حقاً سعيد بقدمك.»

قالت وقد تأثرت بكلماته اللطيفة: «شكراً لك على دعوتك.»
«هل انت على علم بان الصناعة التي تحتل المكانة الاولى في بلدي تتعلق بهندسة الميكانيك؟»
«ولكنني كنت على اعتقاد...»

«اعلم كنت على اعتقاد بان رياضة التزلج، تسلق

الجبال، والسباحة تحتل المكانة الاولى في البلاد.»
«ان هذه الأمور ليست مصدر دخل مهم للبلاد. فالصناعات الكيماوية والصيدلية تحتل المكانة الثانية بعد الهندسة، ثم تتبعها صناعة النسيج وبالطبع، صناعة الساعات السويسرية التي هي ذائعة الصيت.»
«كذلك الأمر بالنسبة لصناعة الألبان والشوكولا. لقد تكلمت عنها مراراً. ذلك دون ذكر امر المصارف وشركات التأمين...»

قال وهو ينظر اليها مبتسماً: «انك حفظت عن ظهر قلب الدليل السياحي عندما كنت في الطائرة. والآن... يجب ان نبليغ رصيف السكة الحديدية.»

بعد مرور عشرين دقيقة، كانا جالسين معاً في مقصورة القطار.

سألت ليديا هذا الأخير الذي اشاح بنظره عن المناظر الخارجية وحقق بها: «اشعر بالقلق بسبب تكاليف الغرفة في الفندق، و...»

«سبق وقلت لك... لا يجب ان تشعرني بالقلق. فأنت حضرت الى سويسرا كزائرتي يا ليديا، وذلك يعني بأنني سوف اتكفل بدفع تكاليف عطلتك في سويسرا.»
«لن اسمح ابداً بهذا الامر، انت لا تستطيع تحمل نفقات إقامة أي شخص في سويسرا. لقد خرجنا معاً لمدة كافية حتى اعلم بانك لا تملك مناجم ذهب سرية مخبأة في جيوب ملابسك.»

قال رايمون وهو يضحك: «سوف تتفاجئين إذا.» وترجل من السيارة.

نظرت ليديا الى المظهر الخارجي للفندق، فلاحظت مدى فخامته، وما كان منها الا ان قالت بسرعة: «انني أسفة، يا رايموند، ولكني، بكل بساطة، لا استطيع البقاء هنا.»

وضع حقائبها ارضاً ثم استدار نحوها، وعلى وجهه تعبير مثير للضحك: «اتعنين بأن الفندق ليس فخماً بما فيه الكفاية لتقيمي فيه؟»

«لا تكن سخيفاً، انت تعرفني كفاية حتى لا تعتقد كذلك. انا اعني انني لا استطيع تحمل نفقات الإقامة في هكذا فندق، فمن الواضح انه فخم جداً، فأنا لست موافقة على الإقامة فيه بصفتي ضيفتك. فالأمر سيكلفك ثروة، كذلك، انا متأكدة من انك لا تستطيع تحمل نفقات اقامتي فيه.»

«هناك امر لست على علم به بعد، يا ليديا ولكن هل ابوح لك بالسر؟ ان فندق بانوراما الكبير يعود الى عائلة فلدر. أه، لا تستغربي الأمر الى هذا الحد.»

همت ليديا بحمل حقائبها، ولكنه اوقفها: «لا تجعلي ذلك يفسد صداقتنا، انا لم اسمع ابدا عن اي فتاة تلوذ بالفرار عندما يقول لها شاب بأنه ليس فقيراً كما كانت تتصور. هيا يا ليديا، بالطبع يمكنك الإقامة هنا، خصوصاً بعد ان تأكدت بأنني لن ادفع اي مبلغ من المال مقابل اقامتك، أليس كذلك؟»

سمحت ليديا لرايموند بحمل حقائبها وقالت متتهدة: «إذا، سأقيم هنا اياماً معدودة.»

قال رايموند لاحقاً عندما التقيا بعد الظهر في الرواق: «لم

تشاهدي غرفتي بعد. انها اوسع بقليل من غرفتك، ولكنها أصغر حجماً من غرفة أبي وغرفة أخي ليست بعيدة ابداً، انها هنا.»

كانت الغرفة اوسع من غرفتها. كذلك كان اثاثها أفخم من أثاث غرفتها. وفكرت ليديا بأن ذلك الأمر كان متوقعا. واحتوت غرفة الحمام على العديد من الاغراض الشخصية، بينما غرفتها كانت تحتوي على علبة خاصة. تضم عدة تجهيزات تفوق جودة معظم التجهيزات الاخرى التي تقدم عادة في الفنادق السياحية.

قال رايموند: «لا تترددي بالجلوس، سأحضر شراباً. ما هو نوع الشراب الذي تفضليه؟»

«أفضل عصير الليمون اذا سمحت.»

بعد ان انتهى من شرب العصير، اخذ الكوب الفارغ من بين يدي ليديا ثم فتح خزانة وأخرج علبة الشرائط. قال رايموند: «يا لسوء الحظ. ان الشريط الذي اريده ليس موجوداً هنا. متأكد من انني اعرتة لرالف.» ثم اعاد العلبة الى مكانها وعدل جلسته. «هل تودين رؤية مكان إقامة أخي العزيز، ان غرفته تبعد مسافة غرفتين عن غرفتي.»

وكان جناح اخيه اوسع بقليل من جناحه، لكن أثاثه كان من الطراز الحديث وبالفخامة نفسها.

قال رايموند: «هذا هو الحمام. وهذه هي غرفة النوم. تأملي المكان بينما افتش عن الشريط الذي استعاره أخي منذ عدة اسابيع.»

تأملت ليديا المناظر المحيطة بها، ثم رفعت عينيها ونظرت

الى الجبال. ثم استدارت، فشعرت بقوة هذا الجو حيث الالوان الداكنة والستائر الغريبة. اما الكتب الموزعة في الغرفة، فقد كانت تتكئ الواحدة على الاخرى على الرفوف. ولاحظت بأن معظمها تتضمن الهندسة، كما ان بعضها يتمحور حول موضوع توليد الطاقة. وكان هناك كتاب واحد او اثنان يتناولان موضوع إدارة الفنادق، وقد استغربت امر وجودهما بين الكتب الأخرى. ولم يكن هناك اي شيء في الغرفة يوحي بأن دماغ صاحبها يمكن ان يرتاح في عالم الخيال حتى ولو لساعة واحدة.

رأت صورة امرأة على طاولة صغيرة مستديرة قرب النافذة. تعابير وجهها توحى بالكثير من الثقة بالنفس، لكنها متأكدة من اهمية دورها في العالم وربما في عالم هذا الرجل بالخاص. اما شعرها فقد كان مجعداً، وتسريحتها تبرز شكل وجهها المستدير. اما ثوبها فقد كان مختاراً بعناية، بالإضافة الى شكلها الجميل. كذلك، يساعد على التخفيف من وقع منظر هيئتها المتعجرف.

سألت ليديا وهي تشير الى الصورة: «رايموند..»
«تودين معرفة هوية هذه المرأة؟ انها لورا مارشان، صديقة رالف. ألم تعرفي بالأمر مسبقاً؟ لقد اخبرتك عنها... ويمكنك الآن ان تعرفي ما قصدته عندما قلت لك بأن اخي يقدر محاسن النساء...»

كانت قد أدركت بأن تلك الصورة تمثل صديقة الأخ الأكبر لرايموند، لكنها، ولسبب تجهله، لم ترغب بأن يكون ظنها في محله. ثم وقفت امام باب مغلق.

قال رايموند: «غرفة الحمام وهناك تقع غرفة النوم. هيا ادخلي وانظري اليها، لا تخافي فأخي لن يأتي ويجدك داخلها انه في الخارج، كما قلت لك.»

شعرت ليديا بوجود صاحب الغرفة، وبأنها التقت من قبل مع ان الامر ليس كذلك في الواقع. وبإحساس غريب وكأنها مراقبة من قبل شخص ما، أحست بالحاجة الملحة الى الهرب، فخرجت مسرعة من الغرفة وأقفلت الباب وراءها.

رن جرس هاتف غرفة الجلوس في اللحظة ذاتها.
سألت ليديا: «هلا اُجبت يا رايموند؟» وهي تحديق بالهاتف كما لو كان حيواناً متوحشاً يستعد للوثوب.

كان رايموند قابعا على يديه ورجليه، اما رأسه فكان داخل الخزانة الصغيرة العائدة لأخيه، قال بصوت ضعيف: «كُونِي لطيفة وأجيبني انت؟ لا يمكن ان يكون الأمر مهما جداً. فموظفة الاستقبال تعلم ان رالف ليس هنا.»

رفعت ليديا سماعة الهاتف واكتفت بالاستماع اذ انها لم تعرف أية لغة كان يجب عليها ان تستعمل.
«رايموند.» كان صوتاً عميقاً ورجولياً، ونبرته تنم عن الغضب.

سأل رايموند وهو يخرج من الشرائط: «من المتكلم؟»
عاد الصوت يقول بنبرة مشحونة بالغضب: «مرحباً.»
هزت رأسها دون التفوه بكلمة، وكانت قد أزاحت سماعة الهاتف عن اذنها.

زحف رايموند وأخذ سماعة الهاتف، قال: «مرحباً، رالف؟»

ثم صمت رايموند وأصغى الى المتكلم، وكان ينظر تارة الى ليديا ويشيح طورا بنظره عنها، قال: «اسمها؟ انه ليديا هايلي. انها صديقتي.»

تردد رايموند ثم تكلم باللغة السويسرية مطمئناً الى انها لن تتمكن من فهم ما يقوله. وهز رأسه بالايجاب، ثم ضحك ضحكة المعتد بنفسه ونظر الى ليديا نظرة اعجاب اكمل الحديث بسرعة يشرح وجوده في الغرفة وسبب وجودها معه هناك.

بدا لليديا بأن الرجل الموجود على الطرف الآخر من الخط لم يكن مسرورا ابداً بالمعلومات التي تلقاها: «اخرجها من هنا.»

تعهد رايموند التكلم باللغة الانكليزية: «حسناً، ولكنها لا تلحق بأحد أي نوع من الأذى.» هتفت ليديا: «هل توقفت عن اعطاء معلومات خاطئة عني الى أخيك.»

«لقد انزعجت من كلامي، او ربما كذلك بسببك انت، كيف لي ان اعلم؟» وتجاهل رايموند صرخ التعجب، التي بدت وكأنها مزيج من الزمجرة والتذمر وكانت عالية جداً حتى ان ليديا سمعتها جيداً.

ثم تابع الشقيقان الحديث، وعندما سمعت رايموند يقول باللغة السويسرية: «نعم العم مانفرد بخير.» علمت بأن شقيق رايموند كان يسأله عن عمله في مكتب عمه في لندن.

انتهت المحادثة، فاستدار رايموند وقد بدت على وجهه علامات الحزن: «هل ارتكبت جريمة اذ قلت لرالف بأنك

صديقتي؟ على كل حال، انت فتاة وأنا اشعر بالصدقة تجاهك. الا تبادليني الشعور نفسه؟» ضحكت ليديا. كانت تحب رايموند كثيراً ولكن عاطفتها نحوه لم تتجاوز حد الصداقة البريئة. اعاد من جديد توضيب الشرائط على الرفوف التي وجدت لهذا الغرض.

صرخ رايموند وهو يلوح بالشريط في الهواء: «لقد وجدته.» ثم وقف مضيافاً: «الآن، سوف نتناولين طعام العشاء معي الليلة.» ضحكت ليديا: «شكراً، اعتقد ان الامر سيكون ممتعاً جداً. الآن يجب ان اجهز نفسي.»

هز رأسه موافقاً: «الى اللقاء، اذا. عند الساعة السابعة والنصف. سيكون ذلك بمثابة موعد.»

نظرت ليديا في المرأة فرأت وجهها متجهماً وخدين علتها حمرة الغضب، فمجرد سماع صوت شقيق رايموند الأكبر قد اثر عليها. على الرغم من انها لم تتفوه بأي كلمة بعدما رفعت سماعة الهاتف، فهي تشعر الآن بدقات قلبها تتسارع كما لو انها دخلت في جدال حاد مع ذلك الرجل.

أزاحت شعرها الطويل الداكن اللون الى وراء اذنيها. كانت عيناها العسليتان تلمعان بسبب الغضب والانفعال. خرجت من المصعد، وكان رايموند بانتظارها.

بادرها بالقول: «ان طاولتنا جاهزة. تبدين رائعة يا ليديا.» «لم اكن متأكدة من نوع الثياب التي يجب علي ارتداؤها. فأنا لم اعرف كيف سيكون الجو العام.»

«ان ثيابك مناسبة جداً.» ثم توجه نحو النافذة العريضة والكبيرة: «نحن نفضل ان تكون اعصاب زوارنا هادئة، ولا نطلب منهم ان يتصرفوا بطريقة محددة.»
ظهر غطاء الطاولة الابيض كأنه احمر اللون بسبب الضوء المنبعث من الشمعة الموضوعه في قالب زجاجي في الخارج.

اخذ رايموند لانحتي الطعام الكبيرتين، ثم اعطى واحدة منهما لليديا واخفى وجهه جزئياً خلف لانحتي التي بدأ بقراءتها: «ماذا تختارين لهذه الأمسية؟ اعتقد انني افضل... دعيني أرى...»

«ان الخيارات عديدة ومتنوعة كثيراً، الى حد أنني اجد صعوبة في انتقاء صنف معين.»

«ثقي بكلامي ان كل انواع الاطعمة الموجودة على هذه اللائحة شهية. هل كنت على علم بأن الاطعمة السويسرية تضم انواعاً كثيرة من عدة بلدان؟ وهناك الكثير منها، ولكن... ما رأيك بأن نأكل هذا المساء ما يسمى بالبوبيوي ميت چيموز وهو عبارة عن الحساء مع بعض الخضار؟ طبعاً بعد ان نحضر البعض من الاطباق الباردة عن الطاولة.»

قالت محتجة: «لن نأكل نوعين من الاطباق، أليس كذلك؟»

«بالطبع بلى، ولكن هذين الطبقين سيأتيان أولاً ثم تتبعهما اصناف اساسية نستطيع ان نخترها من بين عدة انواع من الطعام. اما اسماؤها فهي لا تحتاج الى الشرح، اذ انها باللغة الانكليزية، وهي الشرائح

المحمرة مع الطماطم والفلفل، او سمك مع صلصة. بعد ذلك يأتي دور الحلوى.»
«ارجوك، لن اقدر ابداً على أكل كل هذا.»
«حسناً، عليك اذن اختيار الاصناف التي تريدونها حتى نتمكن من طلبها، موافقة؟»

وأعلمت ليديا رايموند بقرارها عندما كانا يحتسيان القهوة بعد ان انتهيا من تناول الطعام: «اشكرك كثيراً لأنك عرضت عليّ تغطية نفقات اقامتي هنا، ولكنني اصرّ بشكل قاطع ونهائي على تغطية مصاريف اقامتي بنفسي. ارجوك، لا ارغب في ان نتجادل مجدداً بالنسبة لهذا الموضوع.»

بدت على وجه رايموند علامات التأثر فقال: «مما يعني، انك سوف تحزمين حقائبك لمغادرة الفندق غداً.»

«هل تعني بأن تكاليف الإقامة هنا سوف تكون باهظة؟ ربما انني سوف ابقى هنا لمدة يومين فقط. ليس ذلك لأنني اود مغادرة الفندق. ولكن ربما يمكنني ان اجد فندقاً آخر في الجوار حيث تكون اقامتي أقل كلفة، أليس كذلك؟»

شرب رايموند ما تبقى من القهوة ثم اعاد الفنجان إلى الطاولة وبدت عليه علامات التفكير: «ان وجدنا لك عملاً تقومين به، هل يسكت ذلك صوت تأنيب ضميرك الناتج عن قبولك الحلول علينا كضييفة؟»

قالت ليديا والابتسامة تملو وجهها: «هل تريد ان اعمل بغسل الاطباق في المطبخ؟»

انفجر رايموند ضاحكاً: «ليس الأمر كذلك فعلاً يا ليديا.

اني ارى امر تقديم فرصة عمل لك غير ضروري البتة، ولكن ان كان ضميرك يصر على ذلك... سوف افكر الآن بصوت عال. اه، لقد وجدتها، يجب ان نجد لك عملا كنادلة هنا، في هذا المطعم..

«هل هناك وظيفة شاغرة؟»

«لا اعتقد ذلك. ولكن يمكن تدبير امر كهذا. او ربما...»

نظر رايموند اليها وعلامات التردد تظهر على وجهه. فما كان منها الا ان ساعده اذ بادرت بالسؤال: «كما اقترحت، سوف اضطر ربما الى العمل في المطبخ، اليس كذلك؟»

«سوف تمقّتين العمل هنا، كذلك الأمر بالنسبة إلي. سوف يكون شاقا، وأنا ادعوك الى هنا بصفتك ضيفتي.»

«بصراحة، يا رايموند، انا لا امانع ابدا بالقيام بالأعمال المتعبة.»

«هل توافقين على ترك هذه المهمة لي؟ ارجو الا تمنعني البقاء هنا كضييفة الى حينها، موافقة؟»

«شكرا، لقد ربحت الجولة الاولى.»

سكب رايموند من جديد القهوة في الفنجانين، ثم قال: «سوف نشرب القهوة احتفالا بانتصاري الاول.»

في صباح اليوم التالي، انتهت ليديا من تناول طعام الافطار الذي كانت قد وضعت على الطاولة الموجودة على شرفتها.

كانت النسومات الصباحية دافئة فاعتري ليديا شعور بالكسل جعلها تسترخي على كرسيها وتغمض عينيها.

لقد مضى وقت طويل منذ ان تمتعت ليديا بأخر عطلة لها خارج البلاد، لذلك، فهي قد اوشكت على كيفية الاسترخاء..

«ان أبي يزور بعض الاصدقاء في فرنسا.» كان رايموند قد قال لها ذلك عندما حان وقت فراقهما وأضاف: «وكما تعلمين، فان أخي في الخارج بداعي العمل. غدا، سوف اعود الى عالم الواقع، لأنني سوف أعاود مزاولة عملي في المدينة.» كان قد اخبرها بأنه يشغل وظيفة محاسب في المكتب الذي كان يتولى إدارة شؤون فندق بانوراما الكبير.

قالت تظمتنه: «ليس هناك من مشكلة. لن ادع الملل يسيطر علي ابدا.»

ثم حدثت ليديا بالمنظر الرائع الذي لا بد وأنه كان السبب في اطلاق هذا الاسم على الفندق. وتصاعدت رائحة القهوة من شرفة اخرى في الفندق فأيقظتها من تأملاتها الحاملة. في اللحظة نفسها، دقت الساعة الكبيرة في المدينة معلنة تمام العاشرة.

دخلت الى غرفتها وتوجهت نحو الطاولة حيث وضعت الكتاب الذي حوى معلومات عن الفندق. ثم قرأت: ان سويسرا هي احدى البلدان الاوروبية حيث يلاحظ تعدد اللغات. فالعديد من السويسريين يتكلمون لغات متنوعة. كذلك، فهذا البلد هو بمثابة سوق بالنسبة لمحبي التبضع. يمكن البحث فيه عن الساعات، المنسوجات، الاقمشة المطرزة، التحف وملابس التزلج. اما بالنسبة للأطباق، فيغلب عليها الطابع الفرنسي، الألماني والاطالي.

ولكل منطقة اطباق خاصة بها. وننصحكم دائماً بطلب الاطباق السويسرية.

تنهدت وأغلقت الكتاب، أه لو كانت تملك الكمية الكافية من المال للتسوق كما ينصح به الكتاب، فكرت بأن ذلك الأمر لا يقف عقبة امام تفحص الواجهات، ولم لا؟ توقف المصعد عند المدخل، فتركت مفتاح غرفتها في قاعة الاستقبال. بعد ان دفعت الباب الدوار، ضغطت على زر المصعد. وصل المصعد وما لبث بابه ان فتح فدخلت إليه واستمتعت بذلك الشعور الغريب الذي تملكها وهي تراقب الطوابق العديدة في الفندق تتسارع امام ناظرها.

بعد ان اجتازت الطريق، وقفت لبعض الوقت وتأملت المنظر امامها. بدت البحيرة تلمع تحت اشعة الشمس الساطعة التي اخفت كل أثر.

كانت المراكب الصغيرة تمر الواحدة تلو الأخرى في نفس الوقت، وجاهزة لتباشر عملها الصباحي. وأصوات صفارات القوارب تتعالى من حين الى آخر، فتبدو حزينة او كأنها تلح على القوارب الأخرى بإفساح المجال لها. شعرت بأن الحياة حولها تتبع مجراها الطبيعي، حتى ان اوراق الاشجار المصفوفة على طرف الرصيف كانت تصدر باستمرار اصوات خفيف اذ كانت تداعبها نسائم الصباح.

تناهى الى مسامعها اصوات تدل على الازدحام وقد احدثتها باصوات تمر بسرعة، في الجهة المقابلة من الطريق، رأت لوحات دعائية مضاءة كتب عليها اسماء

معروفة: رولكس وبياجيه أفيا ولونجين. فكرت بأن هذه اللوحات تشد انتباه الانسان وتولد لديه الرغبة بالاندفاع بسرعة لشراء ساعات اليد الذهبية، والانواع الأخرى من الساعات، كذلك الأمر بالنسبة للمجوهرات المعروضة بالقرب منها... على شرط ان تتوفر الكمية اللازمة من المال ليدفع ثمن تلك السلع الفخمة، ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لها. وكان كل شيء يثير اهتمامها، حتى الملصقات على اللوحات الاعلانية. كانت تعلن عن الحفل الموسيقي الذي سوف يقام بعد بضعة ايام في المسرح المخصص للحفلات الموسيقية في المدينة.

مر النهار، وكأنه حلم. وكانت ليديا قد تناولت طعام الافطار وشربت القهوة وعصير الفاكهة في المقاهي التي توزعت في كل مكان.

وكذلك تأملت الواجهات وأعجبت كثيراً بالاقمشة والبياضات ومحارم اليد المطرزة بأسلوب مميز والمعروضة بذوق وفن. وأحبت كثيراً اشكال وألوان البضاعة التي حيكّت باتقان، كذلك الامر بالنسبة لسكاكين الجيش السويسري الشهيرة والتي تتميز بتعدد شفراتها.

جالت ليديا بين محلات البيع الكبيرة وحدقت بشغف بالبضاعة الرائعة.

استمعت الى الموسيقى الممتعة الصادرة عن علب موسيقية تتعالى بأصواتها المتناغمة كلما رفع غطاؤها. تصورت جمال المنحوتات اليدوية والخشبية والسيراميك وهي تزين رفوف بيتها. إلا انها تذكرت وهي تشعر بغصة بأن تلك الرفوف لم تعد ملكها منذ مدة. وغرقت ليديا في

حلم من احلام اليقظة، فرأت نفسها من جديد بالقرب من شاطئ البحيرة وهي تتأمل المراكب والانعكاسات الذهبية للشمس على صفحة المياه. وتذكرت ليديا بعد فوات الأوان بأن وجهة السير في سويسرا هي عكسها في بلدها الأم. فقد احست بدفع سيارة على ذراعها اليسر وكتفيها. ثم وقعت ارضا. كانت اصدااء اصوات مكابح تشد بعنف تتردد في رأسها.

الفصل الثاني

تحرك جفنا ليديا، ففتحت عينيها وأحست بأن شفيتها الجافتين تتحركان، وسمعت نفسها تهمس رايموند؟ ثم أدركت ان هناك شيئا ما في هذه الكلمة يرن بنغمة خاطئة (كيف...؟) قالت وعيناها تحملقان بعيني الشخص الواقف أمامها وقد شعرت بأن العالم بدأ يدور ببطء.

كانت عينا رايموند الزرقاوين هنا، كذلك أنف وفم رايموند، ولكن فكه القوي والشفيتين المغلقتين بإحكام كانتا غريبتين عن ليديا. وتلك الرائحة الغريبة والمؤثرة المنبعثة من ذلك الغريب تؤثر عليها. من المؤكد انها رأت هذا الشخص من قبل، أليس كذلك؟ سمعت العديد من الاصوات، كانت الاسئلة تتعاقب باللغة الألمانية، وتعالص الاصوات الغاضبة فوق رأسها. (كراكنهوس؟)

شيء في داخلها يقول لها بأن هذه الكلمة تعني مستشفى. فقد سبق ورأتها من قبل في ملف الفندق، لا، لا اريد مستشفى، قالت: «انني على ما يرام، أنا...» قال احدهم باللغة الانكليزية: «انني متأكد بأنه ليس هناك أي عظام مكسورة.» لقد تعمد ذلك لكي تفهم ما يقوله. قال الشاب: «إنها آثار الصدمة، كذلك ربما بعض الرضوض. سوف اتولى أمر هذه الفتاة الشابة، وأتصل بطبيب. فأنا هو من صدمها، أليس كذلك؟ اما

بالنسبة إليك، يا أنسة فاعلمي بأنني لست رايموند. لم يكن الصوت الصادر عن المتكلم والذي ينم عن غضب كبير غريباً بالنسبة لأذني ليديا: «لن يكون دخول المستشفى ضرورياً.» ذلك يعني أن ما توقعته كان صحيحاً. وضعت بتآن كبير على المقعد الخلفي للسيارة، وأحست بحنان محاذكري قساوة الصوت الذي سمعته قبل ذلك.

سمعت اصوات صفارات الانذار، وأبواب تغلق، ثم أحست بأن كل سكان المدينة قد اجتمعوا هنا ليحدثوا بها. «انها حادثة.» ثم تبع ذلك تبادل كلمات بين الرجل والشرطة وقد دام لمدة طويلة. احست بالتعب، ان كان مجرد النوم يؤمن لها راحة الهروب من احساس الألم، فهي ستنام حتما... وبدا لها بعد عدة ساعات بأنها قد نقلت الى سرير.

سمعت صوت احدهم يقول: «أليس هناك ارتجاج؟» وصوت يقول: «انها الصدمة، والرضوض...» تبع حديث باللغة الالمانية وكان صوت احد المشاركين مالوفا لى ليديا.

اغلق الباب فاعتقدت ليديا بأنها تركت بمفردها، ولكنها ما لبثت ان سمعت صوتاً... وهو صوت رايموند... يهتف: «تبا لك يا رالف، كيف استطعت ان تقوم بعمل مماثل؟ ان فارقت الحياة او حتى ان بقيت آثار جروحها ظاهرة، سوف...»

«اهدأ يا أخي. ولا تسترسل في تصور هذه الدراما...؟» انها آثار الصدمة، كما قال الطبيب، كذلك فهي تعاني

من الجروح والرضوض والكدمات، التي عولجت بكثير من المهارة. سوف تتألم هذه الفتاة لمدة يومين او ثلاثة، ثم تعود الى حالتها الطبيعية. والآن، أنسة هايلي، اعتقد بأنك قد صحت، أليس كذلك؟»

فتحت ليديا عينيها فظهر هذا الوجه من جديد وكان يشبه وجه رايموند ولكنه ليس هو. قال رالف: «أه، اعتقد بأنك تسمعيني. إذن قول لي، يا أنسة هايلي، من كان المتسبب بحدوث ذلك الارتطام؟»

قال رايموند: «توقف عن الضغط عليها وعن استجوابها، ان اجابتك ليديا كما تريد، فسيكون ذلك بسبب الاكراه!»

اعاد رايموند صياغة جملة تحت نظرة أخيه المستغربة. «ما اعنيه هو ان ليديا، وفي وضعها الحالي، تعتمد على كرم عائلة فلدر، خصوصا على كرمك انت. فأنت هو من صدمها، ولكن من المؤكد بأنها لن تلومك لئلا تخسر دعمك، ألا توافقني الرأي؟»

قالت ليديا وصوتها يرتجف من اثر الصدمة: «ان الحادث قد حصل بسببي أنا، يا رايموند. فأنا في بلد غريب، فقد كنت احلم وأنا أسير. وكانت نتيجة ذلك ان نسيت وجهة السير... وتجاوزت مسامير الرصيف.»

قال رايموند بصوت تشويه بعض المرارة: «ها قد حصلت على الاعتراف الذي تريده. قد سقطت عنك التهمة، يا أخي العزيز، ألم يكن يجدر بك تسجيل هذا الاعتراف، لكي تشهره كدليل على براعتك ان رفعت ليديا دعوى ضدك في المحكمة؟»

«ارجوك يا رايموند.. وشعرت ليديا بأنها ساندت الرجل الذي صدمها، فالأمر فعلاً لم يكن نتيجة أي خطأ ارتكبه. «لم يكن اخوك هو السبب في الحادث. كان من الحماسة نسيان...»

خفت صوتها وأحست بالدموع تنهمر على خديها. قد أثارت هذه الأخيرة دهشتها، فهي لم تدرك سبب بكائها.

قال الشقيق الأكبر: «لست بحاجة إليك يا أنسة هايلي لتلعب دور محامي الدفاع عني. هناك العديد من الشهود الذين سيكونون جاهزين لإدلاء الشهادة والوقوف الى جانبي.»

«انني اتحمل مسؤولية الحادث، يا سيد فلدر.»

«ليديا!» وانحنى رايموند نحوها: «لا تبكي، يا ليديا. سوف اتغيب عن عملي بعد الظهر و...»

قال رالف وهو يصير اسنانه: «هل تريدني ان انتظر اكثر يا رايموند؟» نظر الى ساعته ثم قال: «لقد تأخرت بما فيه الكفاية.»

«ان يوماً واحداً...» استدار رايموند نحو أخيه، وقد رفع قبضته، ثم اتجه نحو الباب...

مد رالف رأسه باتجاه الردهة: «إذهب.» ثم اغلق الباب محدثاً ضجة قوية.

احضر رالف من جيبه منديلاً تفوح منه رائحة منعشة فمسح بواسطته دموع ليديا. جلس رالف بالقرب منها فمرر يده على حاجبها وأبعد بعض الخصلات المتناثرة عن بشرتها الرطبة.

«ليديا..» كانت نبرات صوته متسارعة بشكل غريب، أما نظراته القاسية، فقد تغيرت كثيراً بعد ان ظهرت في عيني رالف لمسة حنان اذ نظر إليها. «ان البكاء ناتج عن الصدمة.»

استغربت ليديا سماع رالف يناديها باسمها وتوقفت عن البكاء ولكنها تنهدت وشعرت بأن هذا الرجل يحاول مواساتها.

رفعت ليديا رأسها فتلاقت نظراتها مع نظرات رالف، وكانت عيناها تحملان علامة استفهام بينما احتوت عينا رالف على كل الاجوبة.

تجنبت ليديا النظر الى عينيها، وحاولت جاهدة عدم التفكير به.

«ما الخطب، يا أنسة هايلي؟» جاء السؤال الحازم من بين شفثيه. إذن، بالرغم من نظراته الحنونة لها فقد عادا الى استعمال الالقاب في حديثهما. لقد حذرهما رايموند، أليس كذلك؟ «لقد حاولت التعامل معك بالطريقة التقليدية، ولكن ارى ان الامور لم تسر على ما يرام أليس كذلك؟»

تلفظ رالف ببعض الكلمات ولكنها كانت باللغة الالمانية: «إذن، فأنا أسف..» قال وقد اصبحت لهجته أقل حدة: «ولكن عينيك بدتا وكأنهما تشاطراني عاطفتي وحناني.»

قالت وهي تحتج بقوة: «انا لم اطلب منك ابداً التصرف هكذا، كلا، ابداً! والآن هلا... هلا غادرت من فضلك؟» عندما وقف رالف، اعتقدت ليديا بأنه كان على وشك

القيام بما طلبته منه. ولكنه بدلاً من ذلك مشى حتى النافذة، ثم استدار ونظر في المرآة الكبيرة الموجودة على الحائط.

قال: «سوف آتي لك بممرضة، وبأي مساعدة طبية ممكن ان تحتاجين إليها لتحقيقي الشفاء التام.»

شعرت ليديا بالصدمة إذ أدركت بأن رالف لم يكن يراقب صورته التي تعكسها المرآة بل كان يتفحص ردات فعلها هي.

«شكرا لك، ولكن... ليس هناك من حاجة... لكي تتباهى بثرانك أمامي.» وتابعت، متحدية غضبه: «لقد أخبرني رايموند عن رأيك بالنساء، فأنت تعتقد بأنهن لا يعرن سوى القليل من الأهمية للحب ويفضلن عليه الكثير من الأشياء الأخرى. حسنا، سيد فلدر، ارجو ان تعلم بأنني مختلفة. فمن بين الصفات المهمة التي أقدرها في الرجل، هناك الاستقامة والصدق والتعاطف ولكنني اعتقد بأن العاطفة ودفء القلب والقدرة على الحب هي الصفات الأهم.»

قال رالف: «انت تبحثين عن انسان وهمي، يا أنسة هايلي لن تجديه ابدأ، إلا في احلامك.»

لم تنتقل عيناه عن صورتها، ولم يبدل رالف وضعيته. بقيت يداه في جيبه، ولم يفقد وجهه ذرة من قناع برودته. عقدت حاجبها إذ شعرت بوخز الألم، قالت غاضبة: «من الافضل لي ان امضي حياتي وحيدة على ان اقترن بشخص يكره النساء الى حد كبير تماما مثلما تفعل انت.»

سال رالف بصوت غاضب: «انت تعرفين كل شيء عني، أليس كذلك؟»

قالت ليديا وهي غير مكترثة لرد فعل رالف: «ان ما قاله لي رايموند بشأنك يجعلني اعتقد بأنك، وبعد قليل من الوقت، سوف تتهمني بافتعال الحادث... ويرمي نفسي بالقرب من سيارتك، مثلا... حتى ارفع دعوى قضائية، وبذلك احصل على الكثير من المال كتعويض عن الجروح التي سببتها لي.»

«لا اكرث لرأيك بي.» ضاقت عيناه ثم استدار ليواجهها: «سوف اهتم بك ما دام ذلك ضروريا خصوصا لانك ضيفة أخي، على الرغم من انك، يا أنسة هايلي...» اقترب من السرير وقد ظهر التهديد في نظراته وقسمات وجهه... «تستغدين كل صبري.»

نظر إليها فأخذت ترتجف لسبب كانت هي نفسها تجهله: «انها... الصدمة. وقد سببها... الحادث.» ربما كانت ردة فعلها ناتجة عن الصدمة، فكرت ليديا، ولكن دون شك، كان هناك شيء آخر يساهم في توليد التوتر لديها مثلا، كان لوجود رالف مفعول التيار الكهربائي على حواسها.

قال رالف بحنان: «إذن، انك تبحثين عن التعويض ليس إلا!»

صرخت ليديا: «كف عن اهانتي. لا اريد اي تعويض منك.» «أه، لن تفعل ذلك؟ سوف نرى، أليس كذلك؟» ثم أقفل الباب بقوة وراءه.

بعد ثلاثة أيام، كانت ليديا تشعر بالتحسن، فجلست

على الشرفة تتناول طعام الافطار. كان رالف قد وفى بوعدده فهو قد استخدم ممرضة للاعتناء بها، وكانت هذه الأخيرة بشوشة الوجه ولطيفة، وقد قالت لليديا بأنها تعمل عند السيد فلدر كمرضة لنزلاء الفندق، ويساعدها في عملها ممرضتان. وكان الاطباء جاهزون للحضور الى الفندق في حال استدعت الحاجة لذلك، وقد عاين أحدهم ليديا في يوم الحادث.

قالت الممرضة فيرا: «اعتقد بأنك قد غفوت طوال الوقت». وكانت قد اهتمت بها جيدا، فهي قد عالجت جروحها ليديا وبدلت الضمادات كما انها غسلت الكدمات. وكان رايموند يزور صديقتة كل يوم، ويبقى لأطول فترة ممكنة معها، ثم يذهب عندما يشعر بأن ليديا قد تعبت.

ذات مرة انضم رالف إليهما. «اترين، يا أنسة هايلي. بأنني لم اضطر الى التباهي بثروتي أمامك. ولم أوظف ممرضة. فالممرضة هي من بين مستخدمي الفندق». احمر وجه ليديا تحت نظرات رايموند المندمسة التي كان يوجهها نحوها. قالت ليديا: «لقد اخبرتني الممرضة فيرا بأنها مستخدمة من قبل الفندق. شكرا لك على كل حال. وأنا أسفة لأ...»

هتف رايموند بلهجة مازحة، هو يشير إلى ليديا: «هل قالت ليديا ما رددته الآن يا رالف؟»

اجاب رالف بشكل مقتضب: «لقد قالت اكثر من هذا، اكثر بكثير. فما زالت بشرتي حمراء اذ انها جرحتها بمخالبها». امسك رايموند بيدها وتفحصها: «مخالب. انها لا تملك ايا منها.»

رفع أخوه حاجبيه بسخرية ولكنه لم يعلق على ما قاله. وبدلا من ذلك، اخذ رالف يتأمل رايموند، الذي كان يجلس بالقرب من ليديا يتكلم معها ويمازحها ليجعلها تضحك.

لم يكن هناك علاقة حب تربطهما بالرغم من ذلك، ها ان رايموند يحاول اقناع اخيه بأن الامر مختلف عن ذلك. شعرت بالخجل يعترئها إذ رأت الوقاحة والاستهزاء في عيني الأخ الأكبر. كانت متأكدة بأن رالف يراجع الآن في ذاكرته ما قاله بالنسبة للصفات التي تتطلبها في الرجل وكيف كانت تنفي ادعاءه بأن ما يريدونه النساء في الحياة هو المكانة الاجتماعية الرفيعة والثروة.

* * *

كانت ليديا انتهت من ارتداء ثيابها، عندما سمعت اصوات ضحك في الردهة، ثم تناهى الى اذنيها صوت رايموند يقول: «هذه هي الغرفة. كل شيء على ما يرام. لدخل الان.» ثم اضاف وهو يقرع الباب: «هل ندخل يا ليديا؟»

هتفت ليديا: «رايموند.»

دخلت فتاة صورة مطابقة عن رايموند الى الغرفة، قالت: «مرحبا. انا مارتينا فلدر. انك ليديا هايلي. انني أسفة لسماعي بأن أخي الكبير قد صدمك. انها طريقة غريبة تلك التي تم استقبالك بها.»

ابتسمت ليديا ثم حدقت بالفتاة.

علقت مارتينا: «لا بأس، اعرف انك تعتقدين بأن نظرك يغشك، ولكن رايموند وأنا توأمان. هل نسي ان يخبرك

بذلك؟ فعلاقة أحدنا بالآخر قوية رغم ما يتخللها من مشادات بالحقيقة، يغلب على علاقتنا طابع المشاجرة.» ثم اضافت: «اتمنى ان تكون حالتك قد تحسنت، لون وجهك قد تحسن. ام ان ذلك اللون قد نتج عن قدوم رايموند لرؤيتك؟ لقد قال بانك صديقته.»

«هل قال ذلك؟ حسنا، انا...»

«هل يتخيل رايموند اشياء لا وجود لها في الواقع، وهل يتمادى في الافتراض بانك تحبينه كثيرا؟ ولكن انا افهمك. فانا كذلك لدي العديد من الاصدقاء. وان تعددهم يطمئنني كثيرا. فالحال كذلك لا بأس بها.» ضحكت ثم تابعت: «يجب ان نبذل مجهودا اكبر يا رايموند حتى تحصل على قلب ضيفتك. او ربما هناك شخص آخر.»

قطبت ليديا حاجبيها، كانت تريد ان تقول نعم، هناك شخص آخر، ولكن، من يكون ذلك الشخص؟ فهي لم تفكر بأي شخص او اسم معين. اجابت ليديا: «لقد كان هناك شخص آخر. ولكنه...» رفعت كتفيها: «... لقد اعجب بفتاة اخرى.»

قال رايموند: «إنه مخبول.»

قالت ليديا، وقد شعرت بالموودة نحو شقيقة رايموند التوأم: «لقد قال لي رايموند بانك تعملين في حقل الازياء.»

اومات مارتينا برأسها موافقة، وقالت: «انني اصمم وأنفذ الازياء، لدي مشغل في الدور السفلي من الفندق. عندما تركت الجامعة، بدأت أعمل بهذه المهنة، وقد اطلقت على

مشغلي إسم ازياء مارتينا.» ثم رسمت عبارة مضحكة على وجهها: «ليس عملي غريبا جدا. ولكن تصاميمي تروق بعض الاشخاص. على كل لقد دعمني والذي ماديا حتى استطعت تأسيسه والاستمرار به، والان، اوظف بعض الاشخاص لمساعدتي. لا أنتج ثيابا بالجملة فإن مشغلي غالبا ما ينتج قطعة واحدة من الثياب... وهذه القطع تشتريها سيدات الطبقة الراقية.»

هزت ليديا رأسها موافقة.

«ان تصاميمي الاخرى ليست زهيدة الثمن، ولكنها في متناول الفتيات العاملات. ان بعض تصاميمي معروضة في المحل الواقع عند مدخل الفندق.»

هتفت ليديا بدهشة: «انك الثياب من تصاميمك؟ انها رائعة.»

علق رايموند: «انها تمدحك يا مارتينا. فهي تود ان تصممي ثوبا يكون خصيصا لها.»

قالت ليديا: «كلا انا لا امتدحها.» وهي تحديق برايموند. ثم اضافت: «انت تتكلم تماما مثل أخيك، وتوحي بأنني مجرد انسانية تبحث عن منجم ذهب او رجل ثري.» وفتح الباب بنفس اللحظة.

قال رايموند وهو ينظر الى رالف: «تكلم عن الذئب، وها هو يحضر إليك، إنضم الينا يا أخي العزيز.»

نظر رالف نحو ليديا. لم يخف عليه أي شيء، لا نظرة عينها اللامعة ولا وجهها الأحمر الضاحك.

«يبدو ان اخي وأختي هما علاج ناجح لمرضك، يا أنسة هايلي، ذلك على عكس ابن آل فلدر الكبير.»

«تعني على عكسك انت، يا سيد فلدر؟ انا أسفة.»

قالت مارتينا: «ما سبب كل هذا الاهتمام... بالرسميات؟ لقد التقيت ليديا لتوي، وها اننا نتنادى بأسمائنا كأننا اصدقاء قدامى، يا ليديا، ناده رالف وأنت يا رالف...»
اجاب رالف بعنف: «ان كلمتها بطريقة بعيدة عن الرسميات، يمكن ان تتهمني بأنني الأطفها لكي اقنعها بعدم جري الى المحكمة للتحقيق في الحادث.»
ضحك التوأمان.

قال رايموند: «قبل ان تدخل، كانت تتهمني بأنني مثلك تماما. وقد قالت ذلك في سبيل التقليل من قدري.»
قال رالف وقد لاحظ ارتباك ليديا: «خلال فترة تعارفنا القصيرة... لا أذكر انها تعنتني سوى بصفات تدل على الازدراء..»

قالت ليديا: «كذلك، فقد اتهمني، بأنني من بين النساء اللواتي ينظرن الى الرجل كمصدر للربح المادي ليس إلا.»
«هل فعل ذلك؟ انت تهين فتاتي.»

قالت مارتينا مستفهمة: «منذ متى اصبحت فتاتك؟»
فكرت ليديا بأنه يجب عليها ان توضح هذه المسألة للمرة الأخيرة، قالت بصوت عال: «هذا ليس صحيحا.»
وهي تقاوم ضحكها ثم تابعت بعد ان نظرت الى رايموند: «نحن صديقان. هذا صحيح، رايموند، يجب ان تعترف بذلك، لسنا اكثر من صديقين.»

اجاب رايموند: «سوف انتظر لربما بدلت رأيك.»
قالت اخته بطريقتها الواقعية: «سيدوم انتظارك طويلا كما يبدو. ان الأنسة تعني ما تقوله.»

سمعت ليديا صوتاً بداخلها ينصحها بقول الحقيقة كلها: «مما يعني بأنني لا استطيع الاستمرار في قبول ضيافة رايموند.»

استدارت مارتينا نحو أخيها رالف: «ليديا تقول بأنها تريد ان تعمل مقابل اقامتها هنا. كما قلت، انها تود العمل طوال فترة وجودها خارج بلادها. أليس كذلك يا ليديا؟»

هزت رأسها موافقة، وهي تنظر من خلال اهدابها لترى ردة فعل رالف. رأى هذا الاخير نظراتها فغدت نظرة عينيه تأملية كأنها تحاول تقييم ميزاتها.

قال رايموند: «لقد تحدثت مع ليديا بشأن بعض انواع العمل التي ربما تناسبها مثلاً.» تابع وهو يعد على أصابعه: «العمل في الفندق، او مساعدة في المطبخ، او نادلة تقدم الطعام.»

استدار رالف وواجهها: «هل لديك خبرة في كل هذه الوظائف؟»

انه يستجوبني، فكرت، وقد انعصر قلبها إذ رأت عدم تعاطفه مع قضيتها واضحا وجليا. قالت: «ليس حقا. ولكنني سوف اتعلم ما يجب عمله، وأنا طاهية ماهرة كذلك فأنا اتقن غسل الاطباق.»

قال رايموند محاولا مساعدتها: «لقد ذهبنا الى عدة فنادق معا. وقد أصبحت لدينا خبرة لا بأس بها.»

قال رالف بغضب: «اولا، نحن نستخدم فقط موظفين ذوي خبرة في مطابخنا. لن يحتمل رؤساء الطهاة وجود مبتدئة مثلك، كذلك الأمر بالنسبة للموظفين الآخرين.»

إضافة الى ذلك، ان جميع مستخدميناُ مدربين على القيام بأعمالهم على اكمل وجه وهم يحملون شهادات ووثائق تثبت ذلك..»

متى سيتوقف من الهزء مني؟ فكرت ليديا وقد شعرت بقلبها ينعصر.

تابع رالف كلامه من دون توقف: «لدينا طرق تكنولوجية لغسل الاطباق، ومساعدى موظفى الفندق يملكون الخبرة الواسعة، كذلك الامر بالنسبة لطاقم النادلين والخادمت العاملات فى الغرف..»

«إذن... لا أماكن شاغرة لديكم؟»

«لا أماكن شاغرة، إنى أسف ولكنى مجبر على قول الحقيقة كاملة..»

شعرت ليديا بأنه ليس أسفاً ابداً.

سالت مارتينا رالف: «ألا تستطيع ان تكون اكثر انسانية؟ فى نهاية الأمر، وبغض النظر عنى قد يكون المخطىء، لا يشك احد فى انك انت هو من صدمها وجرحها، إذ كنت تقود سيارتك..»

صر على اسنانه، اصبحت نظراته اكثر قساوة: «يبدو لى، يا أنسة هاىلى، بأن نصف عائلتى يؤيدونك. على الرغم من ذلك، فأنا أدير الفندق مع والدى...»

«بما انك تعارض امر عملى فى الفندق، فمن الافضل لى ان احزم حقائبى وأذهب..»

قال رايموند وهو يمسك يدها كأنه يريد حمايتها: «ألن تتركها وشأنها؟» وكانت ليديا قد جفلت قليلا، ولم تستطع منع نفسها من ذلك.

قال رالف: «هل ما زلت تشعرين بالألم، يا أنسة هاىلى؟» هذه هى يدي التى تسببت... التى تسببت سيارتك...» قالت مارتينا: «هل ترى، انها لطيفة ومهذبة جدا الى حد انها لم تتهمك بالتسبب بالحادثه..»

«انها هى المسؤولة عن الحادث، إذ انها اعترضت طريقي. ولم أكن أنا من افتعل الحادث بتوجيه سيارتى نحوها..» قال رايموند: «انها لا تزال تعاني من آثار الصدمة، ألا تستطيع رؤية ذلك..»

قال رالف: «لا، ليس الأمر كذلك..»

احتجت ليديا قائلة: «إنه... انه اخوك... ومن طريقة تصرفه، فهو قاس جدا وعديم الاحساس..»

استدار الشقيق المذكور، وقبل ان يصل رالف الى الباب، قال رايموند: «ان كلامك هذا يلخص طبع أخى. لذلك احذرى يا ليديا، وتجنبي قدر استطاعتك التعامل معه..» وأقفل الباب وراء رالف بهدوء كان يعبر عن غضب قد كبح لجامه.

قالت مارتينا بعد يومين من لقائهما محاولة اقناع ليديا: «لنتناول طعام الافطار معا ان شعرت بأنك نشيطة بما فيه الكفاية..»

طمأنتها ليديا: «انا بخير الآن، تأكدي من ذلك. نعم اود تناول طعام الافطار معك. فى الحقيقة، احب ذلك فعلا. فسوف يشكل تغييرا بالنسبة لى إذ اننى اتناوله عادة بمفردى..»

التقت الصديقتان عند باب المطعم وقادت مارتينا ليديا الى الطاولة التى تقاسمتها هذه الأخيرة مع رايموند قبل

وقوع الحادث. كان رايموند بانتظارهما، وعلى شفتيه ابتسامة مشرقة. قال: «اجلسي هنا بالقرب مني.» هتفت ليديا: «انه صباح جميل.»

قال رايموند: «ها هي ليديا. تغذي نظرها بدلاً من الاستجابة لنداء معدتها الجائعة.» عندما اقترب النادل: «هل تريدان الشاي ام القهوة يا ليديا؟» اختارت القهوة.

قاطعتها مارتينا: «والآن يا ليديا، انها المرة الاولى التي تتناولين فيها طعام الافطار مع عامة الشعب... وذلك بفضل الحادث الذي تسبب به أخي.» «كلا، كلا، كان الأمر نتيجة...»

وتجاهل رايموند محاولة ليديا التي كانت تهدف الى الاعتراف بذنبها ومسئوليتها وقال: «ان ضيوفنا يقومون باختيار وإحضار ما يريدونه من طعام لوجبة الافطار. إذن تعالي يا ليديا واتبعيني.» وشق طريقه الى الطاولة الجانبية، حيث كانت هناك أنواع متعددة من الاطباق. بعد خمس دقائق، عاد الثلاثة وهم يحملون اكواباً من عصير الفاكهة، مع صحون مليئة بقطع الخبز. وأحضرت مارتينا طبقاً من الفاكهة، بينما تبعها رايموند حاملاً طبقاً وضعت فيه اللحوم. اما بالنسبة لليديا فقد حملت طعام افطارها التقليدي المؤلف من العديد من الفاكهة الطازجة، الكرواسون، العسل والمربى.

قال وهو يشير الى قطع الكرواسون التي اختارتها ليديا: «اننا نسمي هذه جييفلي. نحن السويسريون نصنع خبزنا بإتقان ومهارة. فهو يجب ان يكون محمصاً

ومحمراً ومخبوزاً على اليد كذلك، ان افراننا تفتخر بأنواع خبزها.» وياشرت ليديا بتذوق الكرواسون. قال رايموند: «اننا نسمح لك بالعودة لإحضار المزيد منها.»

قالت شقيقته مؤنبة: «لا تشجعها على تناول الطعام كثيراً، إذ ان ذلك سوف يسبب زيادة وزنها.» احمر وجه ليديا ثم هزت برأسها: «انني بحاجة لخسارة...»

قاطعتها مارتينا: «لست بحاجة الى خسارة أي باوند...» قال رايموند: «ذات يوم سوف نأخذك، الى محل بيع الحلويات في المدينة حيث يمكن احتساء الشاي، ونشتري لك قطعة من الحلويات الشهية التي تنفرد هذه المحلات بصنعها، مثل المعجنات او الفطائر الحلوة، كما تسمى، مع العسل واللوز.»

«إنك تثير شهية ليديا، يا رايموند. هلا توقفت عن ذلك؟ وإلا ستعود الى وطنها وقد ازداد وزنها.»

سكب لها رايموند القهوة، ثم نظر الى ساعته، وقف بسرعة وقال: «ارجو ان تعذراني. فان تأخرت عن عملي، سوف يقطعني أخي العزيز إرباً، كما يقال. سوف اراكما لاحقاً، أليس كذلك يا ليديا؟»

قالت مارتينا: «انه يتأخر دائماً عن العمل.» وهي تنظر إلى رايموند يشق طريقه بين الطاولات. ثم اضافت: «ان عملي اليوم يحتم علي الذهاب الى المدينة، هل تودين مرافقتي يا ليديا؟ هل تشعرين بأن حالتك الصحية تسمح لك بذلك؟»

أكدت لها بأنها تود ذلك وتستطيع فعلاً مرافقتها الى المدينة: «لقد ذهبت بنزهة في اول يوم لي هنا، قبل ان...»

قالت مارتينا: «قبل ان يدهسك أخي العزيز بسيارته. انه مدين لك بسبب فعلته هذه.»

«بماذا انا مدين لها؟»

قفزت ليديا مندهشة. اذ رأت فجأة رالف وقد وقف بجانبها.

«انت مدين لها إذ انك دهستها وتسببت بجرحها.»

سألها رالف: «هل توافقين على ما قالته مارتينا، يا أنسة هايلي؟»

لو ان الحمرة لا تغزو وجهها بهذه السهولة.

قالت مارتينا: «إنها أتية معي اليوم. فهي تشعر بانها قادرة على ذلك، كما قالت.»

سأل رالف: «ألا زلت تشعرين بالألم؟ بإمكانني ان اطلب من معالج فيزيائي المجي، ان كان ذلك يخفف من الألم.»

لم تكن ليديا قادرة على البوح لرالف بأن الألم كان واحداً من الاسباب التي جعلتها تجفل. اجابت ليديا: «شكراً لك، ولكن لا لزوم لذلك.»

قال: «كما تريد.» ثم قال لمارتينا: «اتصل بي والدنا. لقد انتقل من الولايات المتحدة الاميركية الى كندا. انه على ما يرام.» وعبرت ابتسامة مارتينا عن مدى سعادتها لسماع ذلك. تابع رالف: «سوف أكون في زوريخ اليوم.» ثم وجه حديثه الى ليديا قائلاً: «سوف تكونين بأمان

نسبي بين يدي مارتينا.» واستدار مستعداً للذهاب. استوقفه صوت ليديا، فاستدار نحوها: «انني ما زلت مصممة على تحمل نفقات إقامتي هنا. وإلا فأنا اصر على الحصول على وظيفة يا سيد فلدر.»

اجاب رالف: «سوف أعير هذا الأمر اهتمامي التام والدقيق ولكن يجب ان اعترف بذلك، يا أنسة هايلي، فهذا الأمر ليس تماماً على لائحة اهتماماتي الملحة.» وأكمل طريقه.

الفصل الثالث

نقلت مارتينا ليديا الى اسواق المدينة في سيارتها الصغيرة. قالت: «سوف نذهب الى متجر جيزلا اولاً، حيث هناك بعض الاعمال التي يجب عليّ انهاؤها.» دخلت الفتاتان متجرًا صغيراً فخماً حيث بدا لليديا بأن ثمن قطع الثياب المعروضة يفوق قدرتها على الدفع. وفكرت بأنه ربما، في سويسرا، اجرة الفتيات العاملات اكثر من اجرة الفتيات العاملات في انكلترا. رحبت السيدة المساعدة بمارتينا بحرارة وشجعت ليديا على تأمل الثياب، بينما كانت تناقش امور العمل مع مارتينا. غابت الاثنتان في غرفة خلفية، واقتربت مساعدة اخرى من ليديا.

قالت السيدة: «ما هو طلبك يا أنستي.» فكرت ليديا على الأقل، يمكنني مجرد سؤالها عن ثمن الثياب، ثم اشارت الى واجهة المتجر. «هذا الثوب.» لحسن حظ ليديا، كانت المساعدة قد غيرت لغة الحديث وكلمتها بالانكليزية.

قالت المساعدة: «انه جميل، يا سيدتي.» وهي تحاول تقدير مقاسات ليديا، «وانني متأكدة من ان هذا الثوب سوف يناسبك. كذلك لونه، فهو سوف يتناغم مع لون شعرك الداكن.» واتجهت البائعة نحو الواجهة.

«ولكن كم تكلف قطعة كهذه؟ اعني ما هو ثمنها؟» «اتودين ان اقول لك ثمنها بالعملة الانكليزية؟» بعد ان

استعملت آلة حاسبة صغيرة، صرحت البائعة لليديا عن ثمن القطعة.»

«لا يمكنني تحمل كلفتها. شكراً لك، ولكن...» وطال تحديق ليديا الى الثوب.

لقد كان يناسبها الى حد كبير كأنه خيط خصيصاً لها. واستنقادت البائعة بسرعة من تردد ليديا، فقالت: «سوف اجلبه لك من الواجهة.»

انتظرت وهي تفكر بأنها لن ترتكب أي جرم ان حاولت فقط قياس الفستان.

قالت السيدة مشجعة: «نعم، انه من مقاسك تماماً. ياسيدتي.»

وافقتها ليديا، ثم هزت رأسها متأسفة.

قالت البائعة: «ارجوك يا سيدتي، هل انت زائرة؟» «نعم، ولكن ذلك لن يفيد فأنا لا استطيع.»

سألتها مارتينا وقد عادت من الغرفة، وفهمت الموضوع بسرعة: «ما الذي لا تستطيعين فعله؟ هذا الثوب؟ نعم، كأنه قد صمم خصيصاً لأجلك. وهو كذلك إحدى تصاميمي. يجب ان تحصلي عليه.»

ابتسمت ليديا لتخفف من حدة لهجتها الراضية وقالت: «كلا، ليس من دون...»

«ارجوك، يا ليديا، إنسي أمر ثمن الثوب. أخي سيتكفل بهذا الامر. إنه مدين لك بالكثير. على كل، انظري الى ما فعله بك، وقد تسبب لك بالكثير من الألم والانزعاج. سوف ارسل له الفاتورة. لقد حلت المسألة.» واتفقت مارتينا مع البائعة، غير مبالية بصوت ليديا الذي بدا

عليه الانفعال. إذ قالت هذه الأخيرة لها: «لا يجب ان تفعل هذا.»

قالت مارتينا بعد ان انتهت ليديا من قياس الثوب: «تعالى سوف نقوم بجولة حول المدينة.»

بعد ان رتبت أمر تسليم الثوب الى الفندق في فترة ما من بعد الظهر تنقلت مارتينا وليديا بسرعة في شوارع المدينة المرصوفة بالحصى الكبيرة حيث كثرت الأشجار، كذلك ساحات المنازل التي كانت مخبأة جزئيا، والرسومات الكبيرة الموجودة على جدران المنازل والمباني العالية.

على طول المساحات الضيقة المرصوفة، كان هناك متاجر كبيرة ومتاجر صغيرة قد حجبت عن النظر مبان طويلة قد زينت بمجموعة من الاعلام الملونة وضعت حولها.

قالت مارتينا: «ان المدينة القديمة تقع هنا.» نظرت ليديا مشدوهة بالمناظر الخلابة، وقد كانت الصديقتان تتنقلان بين هذه المناطق بواسطة سلالم طويلة: «انظري هنا، تحت هذه القناطر، هناك لعبة شطرنج عملاقة. وهنا، يوجد مربع صغير مع ينبوع صغير في الوسط، وهناك العديد من تلك الينابيع موزعة في المدينة.»

تناولت الصديقتان الغداء على طاولة تقع بالقرب من الساقية، حيث تصب مياه البحيرة. كانت الطيور ترفرف بين الفينة والأخرى، ليغط ويطفو على سطح المياه.

كانت ليديا مأخوذة وهي تتأمل انعكاسات الأبنية، إذ كانت تتحرك على شكل متموج. كانت قوارب صغيرة مصطفة على الضفاف، بينما البجعات تشق طريقها بنعومة خلافة بينها.

قالت مارتينا، وهي تحتسي قهوتها: «استمعي إلى جميع اللغات التي يستعملها الناس هنا. فهم يأتون من كل مكان حول العالم ليزوروا هذا المكان.» وأشارت بيدها الى محل يقع على الطرف الثاني من الطريق: «انه ايوتيكى. هو متجر قديم جدا، وهو مغلق الآن. انظري الى الكلمات التي كتبت عليه باللغة الألمانية سوف اترجمها لك: ليس هناك أي نوع من الاعشاب يشفي من الحب.» وانفجرت ضاحكة: «ان ذلك يبقى ضمن الاشياء التي لم اجر بها بعد. انني مشغولة جدا بإدارة اعمالى. ماذا عنك؟ هل احببت احدهم؟»

لأسباب بقيت خفية حتى على ليديا، وجدت هذه الأخيرة انه من الصعب الإجابة على سؤال مارتينا: «لم يحصل ذلك. لم اقع حقا في الحب.» ولكن شيئا ما في داخلها بدأ يتمنى لو وجد نوع من الاعشاب، او أي علاج آخر، يحمي الاشخاص من الوقوع في حب الشخص غير المناسب. ولكن، من هو ذلك الشخص؟ ما ان سألت ليديا نفسها هذا السؤال، حتى مألها جوابه بنوع غريب من الخوف.

ولكنه بدا وكأن مارتينا، لحسن حظ ليديا، قد اقتنعت بجوابها. مشت الصديقتان في طريق عودتهما الى السيارة، فاجتازت مربعا آخر غطي بالحصى... وهو يعود الى منتصف القرن السادس عشر، كما شرحت مارتينا... وسارتا تحت شرفات وضعت على اطرافها زهور زاهية الألوان كذلك مشت الصديقتان تحت اعلام ركزت بفخر على شبابيك الطوابق العلوية.

علقت مارتينا وهما تستقلان المصعد حتى مدخل الفندق: «يجب ان يكون ثوبك قد سلم الآن. لقد طلبت ان يرسل الي مشغلي حتى أرى ان كان يحتاج الي بعض التعديلات. اتمنى ألا يكون لديك مانع في ذلك.»
ضحكت ليديا، وهي تهز برأسها. كانت مقتنعة بأن صديققتها سوف ترفض أي اعتراض من قبلها.
نزلت الفتاتان بواسطة المصعد وأشارت مارتينا الي ليديا بأن تتبعتها إذ فتحت الباب ثم دخلت الي المشغل. قالت: «ارجو ان تعذري حالة الفوضى العامة في المشغل.»

قالت مارتينا ذلك وهي تشير الي الغرفة: «لأنني اعمل دائما في جو مماثل. إنه الجو الملائم حيث يمكن للفنانين المبدعين ان يبتكروا. ان هذا هو العذر الذي اقنعت نفسي به على كل حال.»

شعرت ليديا بأن الثياب والأقمشة توجد في كل مكان حولها، وهي معلقة في أماكن عالية كما لو كانت ستائر، او بين الطاولات والكراسي، او موضوعة بتعاليق وراء الابواب. كان هناك كذلك آلات خياطة واكسسوارات ملقاة على طاولات، على كراسي قليلة الارتفاع، وكذلك على حافات النوافذ: «ان الجو هنا لا يشبه جو المشاغل.»

قالت مارتينا بشيء من الفخر: «انني اعمل ضمن اطار ضيق، وبنجاح لحساب سيدات يردن الظهور بمظهر مختلف هنا...» ولوحت مارتينا بيدها نحو صف طويل من الثياب كان قد اخفي وراء قطعة قماش كبيرة للغاية...
«هنا توجد تصاميمي التي سوف تظهر في عرض للأزياء.»

خلعت مارتينا سترتها وأوعزت لليديا ان تحذو حذوها: «سوف يقام عرض الأزياء في الطابق الأرضي من البيت الذي يتم تجديده لنقيم فيه... هل اخبرك رايموند عنه؟ بعد وقت قليل سوف نعود الي نمط طبيعي من الحياة إذ أننا سننتقل للعيش في منزلنا. سوف أنقل مركز عملي إلى غرفة اخترتها خصيصا لأن الضوء يدخلها بطريقة جيدة. سوف يقام احتفال كبير بمناسبة انتهاء اعمال التصليح وانتقال عائلة فلدر الي المنزل.»

القت مارتينا التحية على فتاة شابة شقراء كانت واقفة خلف لوحة الكي وهي تعمل بدقة على كي سترة: «مرحبا، أقدم لك ليديا هايلي، انها صديقتي وصديقة رايموند. انها انكليزية. ليديا، أقدم لك ليليان شميدت.»

ردت الفتاة على ابتسامة ليديا بابتسامة مماثلة، سألت مارتينا: «هل احضر ثوبا من محل جيزلا؟»

اجابت ليليان باللغة الانكليزية، إذ ان مارتينا وجهت إليها السؤال باللغة ذاتها: «نعم، لقد حصل ذلك فعلا، ان الثوب هنا.» كان الثوب معلقا على الباب، اضافت ليليان: «اني متأكدة، بأن هذا الثوب هو من تصميمك يا مارتينيا.»

قالت مارتينا: «إنه كذلك. لم يمض على قدومك وقت طويل. ولكنك دقيقة الملاحظة كما أرى. الآن، سوف ترتدين الثوب يا ليديا لقياسه من جديد، أليس كذلك؟»

نظرت ليديا حولها وقد عقدت حاجبيها: «هنا؟»

«لم لا؟ توجد غرفة القياس مزودة بمرآة.»

دخلت الغرفة، ارتدت الثوب بعد ان اغلقت الستارة.

ثم فتحتها مجدداً فانحنت مارتينا ورتبت حافة الثوب. عندها، سمع طرق على الباب ودخل رايموند: «يا شقيقتي، لم يأت أي عدو ليسرق افكارك.»

وتسمرت عيناه على ليديا وهو يقول: «أه! يا للروعة.» استطردت شقيقته: «هل تعني بكلامك هذا ابتكاري الرائع ام كما اعتقد مظهر ليديا؟»

اجاب رايموند: «ان اعتقادك في محله.» وقد علت وجهه ابتسامة عريضة، نظر حوله، فلاحظ وجود المساعدة الجديدة للمرة الأولى. بعد وقت طويل استعاد رايموند انفاسه وتابع بنبرة ملحة: «مارتينا؟ هيا، يجب ان تعرفيني بهذه الفتاة.»

فقالت: «ماذا تريد؟ ليليان، هذا أخي الصغير رايموند.» قال رايموند بصوت يتخلله بعض التأنيب: «لست فعلا صغيرا. هل تعملين هنا منذ فترة طويلة يا ليليان.» اجابته أخته إذ إن ليليان ظهرت في غاية الارتباك: «منذ ثلاثة أسابيع.»

قال رايموند وهو يهز رأسه وكأنه مرتبك ومشدوه: «أه، إذن، يجب...»

قالت شقيقته: «يجب ان تدخل المصعد ليقلك الى فوق.» غزت وجهه تعابير مضحكة بسبب هذه الطريقة الجديدة التي اتبعتها شقيقته لأخباره بأن عليه الذهاب، ولكنه فهم رسالتها جيدا.

بعد قليل دخل رالف: «ليديا؟»

«نعم.»

اطال رالف النظر في عينيها: «اود التحدث معك.»

انقبض قلبها، ذلك لأنها كانت قد عرفت إذ رأت وجهه الذي خلا من التعابير، بأنه سوف يخبرها بعدم توفر أية وظيفة شاغرة.

اضاف رالف: «سأراك لاحقا.» ثم سأل مارتينا: «كم من الوقت ستحتفظين بزبونتك هنا؟»

قالت مارتينا: «لن تضطر ليديا على البقاء اكثر من بضعة دقائق.» ثم اضافت وعيناها تبرقان اذ انها كانت تتصور وقع الخبر على رالف: «يمكن ألا تكون على علم بذلك، ولكنك انت زيوني.» رفع رالف حاجبيه الكثيفين مستفسرا عن الأمر. اضافت مارتينا: «سوف ارسل لك انت فاتورة بثمان هذا الثوب، يا أخي الكبير، ولن تكون قيمتها ضئيلة. فأنت مدين ليديا إذ انك صدمتها، في الحقيقة، انت مدين لها بالكثير.»

قالت ليديا مويخة مارتينا: «لقد قلت لك، بأن اخاك لا يدين لي بأي شيء.» لقد كنت انا السبب في...»

اجابتها على الفور: «ان المكابح كانت بمتناول يده، أليس كذلك؟ ولا اعتقد ابدا ان لدى أخي أي خلل يحول دون تحكمه بردات فعله، لماذا لم يتوقف في الوقت المناسب؟»

قال رالف: «مارتينا، على الرغم من انك شقيقتي، فإن ما قلته ينم عن نقص في الذكاء لديك. عندما لا يرى السائق حتى ذلك الشيء الذي يعترض طريقه، لديه كل الحق في الافتراض بأن الطريق امامه سالكة ولا تعترضها أي حواجز. على الرغم من ذلك.» اضاف وهو ينظر الى ليديا: «انني اكثر من مستعد لأسدد الفاتورة.»

ولكنني، إذ افعل ذلك، فأنا افترض بأن الأنسة المذكورة تبدو جميلة جدا وهي ترتدي هذا الثوب، اتلاقيني بعد خمس عشرة دقيقة، يا ليديا؟»

هتفت مارتينا، بعد ان غادر رالف الغرفة: «ان أخي يؤثر علي فعلا عندما يرغب في فعل ذلك.» ثم انفجرت مارتينا ضاحكة: «وذلك التأثير يفعل فعله على عدة اصعدة، كما اعتقد، ان اخذنا بعين الاعتبار رأي تلك السيدة الجميلة المظهر.. لورا والتي اراه برفقتها دائما.»

وصلت ليديا في الوقت المحدد، ولكن، على الرغم من ذلك، كان رالف ينظر الى ساعته عاقد حاجبيه.

قالت ليديا: «انني اسفة ان كنت تأخرت على الموعد.»

اجاب رالف: «لقد حضرت في الوقت المحدد تماما. هلا تبعتني، ان سمحت؟»

ادركت أنه يود التحدث بشأن العمل، وذلك لأنها لاحظت بأن نبرة صوته مشحونة بالجدية.

كانت ليديا مقتنعة بأن هذا النوع من الرجال لا يسمح ابدا لعواطفه بأن تؤثر على اعماله. انتظرت وهي تفكر كيف ستحزم حقائبها، وقد عقدت اصابعها بشدة حتى تمنع يديها من الارتجاف، إذ أقفل الباب ومشى باتجاه المكتب الذي كان مركزا في زاوية من الغرفة.

عندها ادركت بأن الغرفة التي وصلا إليها تحتوي على مكتبين، وكان على احدهما آلة كمبيوتر وآلة كاتبة وضعت بالقرب منها.

حقا، فكرت ليديا، ان المكان مناسب، إذ أنه يمكن القول هنا لأي شخص بأنه غير مرغوب به.

قال رالف وهو يشير الى كرسي: «تفضلي بالجلوس... تبدين وكأنك تنتظرين تنفيذ حكم الأعدام بحقك.» وابتسم ابتسامة افقدتها توازنها، لأنها بدلت تماما مظهره وجعلتها تكتشف ذلك الانسان البعيد عن الرسميات. انتظر رالف حتى جلست، ثم جلس بدوره على كرسي المكتب.

قال رالف: «انك تلحين على تغطية نفقات اقامتك هنا.» وأخذ السكين الذي يستعمل لفتح الرسائل، وتفحص حده. إذن، هل يمكن أن يكون رالف على استعداد لتوفير العمل لها؟ وهزت رأسها مؤيدة كلامه.

قال باستهجان: «ان ذلك جنوني الى أقصى حد ممكن. ولكن...» رفع يده ليمنعها من الاحتجاج.

«... هناك عمل يمكن ان تقومي به من أجلي.» تنفست الصعداء.

«بالأحرى، سوف تعملين لحساب أبي. فهو قد تقاعد ولم يعد يدير مجموعة فنادق فلدر... نعم، فنحن لدينا فنادق أخرى في هذا البلد... لذلك، فهو قد تخلى عن منصب الرئاسة وأوكلني به. بعد موافقة اعضاء مجلس الإدارة. فأنا أحاول تولي هذه المهام الى جانب عملي في شركة الهندسة التي املكها في زوريخ.»

«هل انت بحاجة الى سكرتيرة؟»

«ليس الأمر كذلك بالضبط. هناك العديد منهن في البلاد.» ومن دون ان يظهر عليه التأثر، أخذ رالف ينظر الى خيبة الأمل التي ظهرت على وجه ليديا: «هناك عمل آخر.» انه يتلاعب بأعصابي.

«لقد تقاعد أبي من وظيفة إدارة الشركة، ولكنه لم يتوقف عن العمل. فهو يقضي وقته بالعمل على تحقيق إحدى أمنيات حياته، إنه يعد كتاباً عن أنواع العنب في سويسرا. هل تتقنين الطبع على الآلة الكاتبة؟»
 وعندما أومأت برأسها قال: «هذا جيد. ولكن هل بإمكانك استعمال الكمبيوتر؟ هل بإمكانك ذلك حقاً؟» وقف رالف وقد بدت على وجهه علامات الرضى. ثم أشار لها بالانضمام إليه والاقتراب من المكتب، حيث كان الكمبيوتر. قال: «هذه مجموعة من الملاحظات، وقد كتبت باللغة الانكليزية. إن الناشر الذي يتعامل معه أبي هو انكليزي. هل تعتقدين أنه سيكون بإمكانك فهم خربشته أو بالأحرى خطه؟ انظري.»
 بدأت تقرأ هذه المخطوطات بصوت عالٍ حتى تبين لرالف بأنها تفهم الكلمات المكتوبة.
 قال رالف: «باستطاعتك البدء بالعمل في أي وقت.» واستدار ليَجبرها على النظر إليه، عندها، لم تعد تكثرث أو تفكر بأنه ربما يقرأ السعادة المتلألئة في عينيها ولكن هناك بعض العوائق لذلك. نظر إلى وجه ليديا ولم تستطع هذه الأخيرة أن تخفي عنه الشكوك والمخاوف التي سببتها كلماتها لها: «سوف أشرح لك الأمر... لن تكون السلطات الرسمية في سويسرا راضية أن حصلت على عمل في هذا البلد وقبضت راتبك من دون إذن رسمي منها.»
 هزت رأسها وهي تنتظر متسائلة عن الكلام الذي سيتبع.

«سوف يأخذ ذلك بعض الوقت، وفي النهاية، يمكن ألا تحصلني على الإذن الضروري.»
 حبست أنفاسها إذ انها استطاعت أن تعي الأمر جيداً الآن. «ولكن ان ادعيت بأنك أصبحت من عائلة فلدر...»
 «أتعني بذلك ان أصبح خطيبة رايموند؟ ليس باستطاعتي القيام بذلك، يا رالف، حتى ولو كان مجرد ادعاء. فلن يكون الأمر عادلاً بالنسبة إليه. لا أستطيع استغلاله لأحقق مأرب شخصية كما قلت من قبل، انا لم أكن له الكثير من الود، ولكنني انظر إليه كصديق لا غير.»
 وأحست بقلبها يخفق بشدة. افتر فمه عن ابتسامة صغيرة: «لقد اردت القول بأنه يمكنك ان تصبحي خطيبة الابن الكبير لعائلة فلدر.»
 لم تستوعب ليديا ما قاله رالف سوى بعد عدة لحظات: «خطيبتك؟ ان هذا غير معقول.» لماذا تسمح لقلبها بأن يعود من جديد الى الأمل؟ «انت تعلم. لست مجبراً على التعويض علي بعد ذلك الحادث كما أردت مراراً. كان ذلك...»
 قاطعها ومنعها من اكمال كلامها: «لا زلت تحملين آثار الكدمات، كذلك الأمر بالنسبة للجروح. انت...»
 وأصبحت نظراته باردة كأن نارها قد أخمدت: «ان هذه الخطوبة موقته.»
 قالت ليديا: «اود ان افكر ملياً بهذا الأمر. هل منحني بعض الوقت؟»
 «نعم، ولكنني سامنحك القليل من الوقت فقط.»
 «لماذا... لماذا تستعجلني هكذا؟»

«لأنني غداً صباحاً، سوف أجري مقابلة مع أحد العاملين في طاقم الفندق وأرى ان كان مناسباً للوظيفة التي أخبرتك عنها.»

فكرت ليديا بأن تعطيه جوابها في اللحظة نفسها ساقول لا، لا ولكنها سمعته يقول: «تعالى، احضري سترة، سوف نتمشى قليلاً كي تفكري بالأمر. اتودين ذلك؟» سألت ليديا: «سأذهب لمدة سبع دقائق، ايناسبك ذلك؟» ثم اضافت وقد ارتسم على وجهها ابتسامة: «هل نلتقي بعد سبع دقائق تماماً؟»

ابتسمت عينا رالف، بينما رفع فكه إذ أنه دهش من جرأتها. بعد لحظات قال بلهجة فرحة: «لقد وصلت في الوقت المحدد تماماً كما وعدت.»

خرج رايموند من المصعد ورأى رالف قد أمسك بيدها: «مرحباً، ماذا؟...»

سارعت ليديا بسحب يدها من يد رالف بقوة. سأل رايموند: «ألن تأتي للعشاء؟»

قال رالف: «يجب ان نتناقش بموضوع العمل. وان تجرأت وقلت بأنك سوف تأتي معنا سوف...»

«اتذكر يا رالف...» ثم تابع رايموند بلهجة حملت مزيجاً من التخويف والتحذير. «انك تخرج مع صديقتي.»

قالت ليديا وهي غير موافقة على كلام رايموند: «إني صديقتك يا رايموند، فقط لا غير... ربما صديقتك المميزة. ولكن... لا شيء أكثر.»

سأل رايموند بنبرة جافة: «إذا ماذا تفعلين معه؟ هل أنت تخدعيني مع أخي؟ تذكر يا ليديا، انت ضيفتي.»

اجابت ليديا بلطف: «كلا، لم اعد ضيفتك، فقد عرض علي رالف عملاً.»

ظهرت على رالف علامات فقدان الصبر إذ أنه وضع يديه في جيبه.

رأت ليديا توجهه وذهبت لملاقاته وهي تقول لرايموند: «سوف اشرح لك ذلك لاحقاً يا رايموند.»

سألها رالف وهو ينظر إليها، ورسم شبه ابتسامة على فمه: «انت غارقة بالتفكير، أليس كذلك؟ هل هذا هو سبب سكوتك؟»

هرت ليديا رأسها موافقة، وكانت سعيدة لأن رالف لا يستطيع قراءة أفكارها بالرغم من انه بإمكانه قراءة التعبير التي تغير ملامح وجهها.

عند وصولهما الى ضفة البحيرة، اقتربا من السوق ورأيا مجموعة من الناس تشاهد مجموعات الحمام وطيور النورس تتطاير في مختلف الاتجاهات. كان الناس يرمون فتات الطعام، فكان بعضها يصل الى سطح المياه، بينما كانت الطيور تلتقط بعض القطع الاخرى وهي ما تزال في الهواء.

كان عدد الطيور كبيراً وكانت حركتها سريعة وعنيفة حتى انها اخافت ليديا التي وجدت نفسها وسط هذه المخلوقات التي تصدر اصوات صراخ. وطارت واحدة منها بالقرب من وجهها وكادت ان ترتطم به، كأنها غير قادرة على تقدير المسافة المناسبة التي تخولها تجنب الارتطام بشيء ما. انقطعت انفاسها من الخوف، واحتتمت برالف بطريقة عفوية...

«شكراً لك ان ما فعلته هو سخيف، ولكن...»
 علق رالف: «انها ردة فعل عفوية.» وارتسمت على وجهه
 ابتسامة خفيفة. ثم قال وقد رفع كتفيه العريضين: «إنها
 ردة فعل طبيعية وان تغير الموقف يفرحني كثيراً. فأنا
 اسعفك الآن بدلاً من التسبب بالمتاعب لك.»
 قالت ليديا: «شكراً على حمايتك لي على كل حال.»
 وابتسمت له، ولكن تعابيره وهو يتأمل هذه الابتسامة
 كانت جدية، فجعلت قلبها يخفق بشدة. وتمنت لو انها
 تتمكن من فهم الأخ الكبير لعائلة فلدر كما تستطيع
 فهم رايموند.

وصل الاثنان إلى جسر خشبي قديم، رفع عن المياه
 بواسطة اعمدة خشبية. وكان سطحه يمتد على مسافة
 كبيرة، بينما حاجزه مزين بعدد من الأزهار.
 «انه الكايبيلبروك سيركا 130.» علق رالف بينما وقفا
 جنباً الى جنب بالقرب من السكة: «يقال انه أقدم جسر
 خشبي في العالم. ان الرسومات...» تابع وهو يشير الى
 مجموعة من الألواح الخشبية: «لقد انجزت خلال القرنين
 السابع عشر والثامن عشر. وهي ترمز الى اشارات
 العائلات القديمة النبيلة في المدينة وإلى الاحداث المحلية
 والوطنية المهمة.»

نظرت ليديا الى الرسومات. وهي معجبة بألوانها وطريقة
 رسمها الفنية.

قال رالف وهو يشير الى مبنى حجري كبير: «من
 هذه الجهة على الجسر، هناك محلات. وان برج
 المياه له شكل مثنى وسطح ذو شكل ثلاثي، وقاعدة

تخرج من البحيرة... قد بني تقريباً سنة 1300.»
 عم السكون لبعض الوقت، ثم نظرت ليديا الى رفيقها إذ
 كان يتأمل الجبال البعيدة.
 قال وهو يدير رأسه كأن ليديا قد كلمته: «ماذا إذن؟»
 ونظر بعينين ثاقبتين الى الاحمرار الذي غزا وجهها.
 «هل اتخذت قرارك؟»
 قالت ليديا وتحننت لتجعل صوتها اكثر وضوحاً: «نعم،
 يا رالف، لقد قررت ان اقبل عرض العمل... والشرط
 الذي يرافقه.»

الفصل الرابع

اقتصر جواب رالف على هزة رأس صغيرة. وتساءلت ليديا لمَ اشتد خفقان قلبها. لقد كان الأمر بكل بساطة وبالرغم من كل ما حصل، مجرد صفقة عمل.

«هل تريدان ان اقول لك شروط العمل مجدداً؟ لن تحصلني على أي راتب.» ثم اضاف بعد ان هزت ليديا رأسها موافقة: «ان عقد العمل غير الرسمي هو ساري المفعول منذ هذه اللحظة سوف أخصص لك مبلغاً شهرياً، وسوف أكون سخياً.»

«ولكن...»

تابع رالف كما لو انها لم تتكلم: «سوف أفتح لك حساباً في مصرفي. ان اكتشفت في أي وقت بأن حاجتك الى المال تفوق المبلغ الذي وضع في حسابك، يجب فقط ان تخبريني بذلك. وسوف أمنحك المزيد من المال. هل توافقين على هذه الشروط؟»

«نعم.» كانت انفاس ليديا قد انقطعت مجدداً، كما لو انها قد غرقت في مياه البحيرة.

«إذن، سوف نضع على اتفاقنا هذا الختم. أليس كذلك؟ سوف ننهي الاتفاق بهذا.»

قالت: «لن يدخل عامل الحب في صفقتنا.»

قال رالف مؤيداً كلامها: «انها صفقة عمل. لا وعد بالحب.»

فكرت ليديا، ان رالف يعني ذلك حقاً، ولكنها ايضاً

كانت تود التقييد بهذا الكلام. انا اود فقط الحصول على عمل، أليس كذلك؟ انها تريد عملاً يخولها البقاء في سويسرا وقتاً أطول مما تخيلته ممكناً عندما أخلت شقتها المؤلفة من غرفة واحدة في لندن.

«سوف ناكل الآن، هياً؟ تعالي، يا ليديا. سوف نبحث عن مطعم.»

قادها الى الجسر وبعد بضع دقائق من السير، استدار وسلك طريقاً مرصوفة ثم توقف قليلاً بالقرب من مقهى، وكان هناك طاوولات وضعت في الخارج وقد غطتها شراشف بلون أرجواني.

سألها رالف: «هل يناسبك ذلك؟»

«أود ان اطلب طعاماً خفيفاً.» وكان الجوع الذي أحست به ليديا قبل ذلك قد اختفى بسبب غرابة الحوادث التي مرت بها.

أزاح لها رالف الكرسي وجلس في الزاوية قبالتها على الطاولة الواقعة في مكان منعزل. ثم اعطاها لائحة الطعام وأخذ هو وأحدة اخرى.

«أه، الحساء... إنه يبدو لذيذاً.» ان أي شيء سيكون لذيذاً في هذا الوقت بالذات، حتى القطعة اليابسة من الخبز ستتحول بسبب فرحتها الى طعام شهوي كأنه مزيج من العسل ورحيق الأزهار. ولم تحاول معرفة سبب ذلك، فهي ببساطة تركت العنان لمشاعرها، وتمتعت بكل ثانية، وهي تعرف جيداً ان فرحها سينتهي بعد قليل. سوف يختفي هذا الشعور في اللحظة نفسها التي تعودين فيها الى الحقيقة...

قالت وقد عادت بأفكارها الى اللحظة الحاضرة: «نعم. ان حاسة التذوق لدي تصرخ طالبة الحساء..»
 علق رالف مرفقا بكلامه بابتسامة: «انت تتكلمين كمواطنة سويسرية حقيقية، ولكنك لست كذلك. ان شرب الحساء هو احد خصائص الطبع السويسري. الآن ها هو نوع من الحساء يمكنني ان اقترحه عليك. ان فيه كل شيء الخضار، الباستا، اللحم، الزلابية، الجبن والبطاطا. وهو يشكل وجبة بحد ذاتها في الحقيقة، ان رئيس الطهاة في أي مطعم سويسري يمكنه إضافة العديد من المكونات الشهية على الطعام. في بعض الأحيان يضع في الحساء كل شيء...»

وكان جوع ليديا يزداد حدة مع مرور الوقت فلم تستطع سوى الابتسام وهزت رأسها موافقة، بينما كانت يداها مشبكتين وهي تنتظر. نادى رالف نادلا وطلب الطعام.

«ليس لديك خاتم. يجب ان نصلح الأمر.»
 أزاحت ليديا يدها.

سألته: «ما الذي قد عنيته عندما قلت ان هذا العقد سري تماما؟»

«عنيت بذلك أنه لا يجب ان يعلم بهذه الصفقة سوى المقربين إلينا فقط من بين أفراد العائلة.»

سألته: «مثلا مارتينا ورايموند؟» فهز رأسه موافقا.

«هل والدك سيعلم بالأمر؟»

«نعم سيعلم والدي بالأمر. يجب ان نشرح له بصراحة ان الدافع وراء هذه الخطوبة هو وبكل بساطة العمل.»

قالت ليديا بلهجة تحدي: «يمكن ان يعلم والدك العالم أجمع بالأمر، أليس كذلك؟ بالنهاية انت ابنه ووريثه، كما يقال.»

عمت لحظات من الصمت، ثم رفع رالف كتفيه بطريقة لا مبالية.

قالت: «مما يعني. بأن الخاتم ليس ضرورياً أبداً.»

قال وهو يمد يده الى جيبه ويخرج منها علبة صغيرة: «بالنسبة لهذا الموضوع نحن نختلف تماماً في وجهات النظر.» ثم فتح الغطاء بإبهامه: «ان الخاتم ليس جديداً وشكله ليس رائعا. لقد كان ملكا لأمي.» اخرج رالف الخاتم من العلبة المخملية: «انها قطعة قديمة،

صنعت خصيصا لجديتي بعد ان أوصى عليها زوجها، ثم اعطته جدتي الى والدتي... فهي كانت ابنتها البكر. وقد اعطيت الى مارتينا التي لم تقبل الاحتفاظ به. فتصميم الخاتم قد جرح شعورها الفني، كما قالت.

لذلك اعطتني إياه إذ انني انا الإبن البكر للعائلة.»

علقت ليديا وهي تتأمل بإعجاب احجار اللؤلؤ، الياقوت والماس: «وهذا يعني بأن الخاتم هو قطعة من مجموعة إرث العائلة. يجب ان تعطيه الى... الى الفتاة التي تنوي فعلا الزواج منها.»

عم الصمت لوقت طويل، ثم نظر إليها بعينيه الزرقاوين الخاليتين من التعابير.

قال ليديا: «هل يمكنك ان تقول لي شيئا ما؟ لقد أخبرني رايموند عن بياتريس، تلك الفتاة التي... وضاعت عيناه، كأنهما تتحديانها على المتابعة: «هل اعطيتها الخاتم؟»

لم يجيبها رالف ولم ينظر حتى إليها. ولكن، ان كان رالف فعلا قد أحب تلك الفتاة بالعمق الذي وصفه راييموند، فلا بد أنه اعطاها الخاتم.

«وهل قيمته بنظرك بسبب طريقة تصرف بياتريس؟ أكرر، ان الخاتم كان ملكا لوالدتي. لذلك ليس هناك أي حادث او شخص يمكن ان يقلل من قيمته. هلا توقفت عن المراوغة؟» ووضع الخاتم في اصبعها، فبدا ملائما جدا.

«سوف احافظ عليه يا رالف. وسوف أعيده إليك عندما أعود الى موطني.»

أجاب رالف بهزة رأس صغيرة، تماما كمن يريد إبرام صفقة عمل، فكرت ليديا.

سألها رالف وهو يعيد اللعبة الى مكانها: «هل تريدان إعلام أهلك بالأمر.»

«لقد توفي أبي منذ بضع سنوات. أما بالنسبة لأمي، فهي لن تصدق بأن الأمر هو مجرد خطبة مزيفة، حتى ولو اخبرتها بذلك. فقد تكبر أمالها، وأنا أكره ان اخيبها.»

احضر الطعام الذي طلبه رالف الى طاولتهما.

كان الحساء شهيا جدا: «إنه رائع.» قالت له، وهي تتبسم وتنظر الى عينيه: «هل احببت انت ايضا هذا الحساء؟»

هز رالف رأسه مؤكدا كلامها: «يجب علي الاعتراف بأن طعمه قد اصبح أذ بسبب الرفيقة التي أمضي وقتي الآن معها.»

«اعلم انك لا تعني ما تقول. انه مجرد شعور يتلاءم مع الوضع الراهن.»

«ماذا يعني ذلك؟»

«حسنا، خطوبة مزيفة، مدائح مزيفة.»

ضحك رالف بصوت عال، فاستدار الزبائن الآخرون نحوه. ثم ابتسموا ابتسامة تسامح.

وختما وجبة الطعام بتناول الجبنة والبسكويت.

قال رالف: «تناولي من هذه.» ثم اشار الى القطع

الصغيرة التي وضعت امامهما. «انها الغروييار، وهذه هي الأمانتيلر، تلك التي تكثر فيها الثقوب الكبيرة او

العيون كما تسمى. وهذه هي السبرينز، وهي تنتج في

القسم الأوسط من البلاد. إنها الاقسي والأقدم من بين

الاجبان السويسرية. أي نوع سوف تختارين؟»

أشارت ليديا الى الامانتيلر. عندها، أخذ رالف سكين

الاجبان، وقطع قطعة صغيرة وناولها اياها.

«ان طعمها لذيذ، وهو قريب من طعم البندق.»

«انا سعيد لأنها اعجبتك.»

بعد ذلك، جال الإثنان في المنطقة، ووقفا تحت القناطر

حيث توجد لعبة الشطرنج العملاقة التي أشارت إليها

مارتينا.

سألها رالف: «هل تجيدين اللعب؟»

«ليس كثيرا. أتذكر ان أبي علمني اللعب حين كنت

طفلة، ولكنه كان دائما يسمح لي بالفوز.»

«سوف نلعب دورا بطريقة ودية. انا اتحداك.»

«سنلعب دورا وديا جدا.»

احست ليديا بغرابة الموقف المسلمي إذ انه كان يجب عليها استعمال يديها لترفع قطعة الشطرنج وتضعها على المربعات المناسبة. كان رالف يأتي ليساعدها بين الفينة والأخرى، فيمسكها ويدعي بأن أحجار الشطرنج ثقيلة جدا ويصدر أنينا طويلا. وهي تضحك وترتجف في الوقت نفسه.

ربح رالف دورة الشطرنج وانتهت اللعبة باكراً جداً. وأعاد الاثنان القطع الى نقطة الانطلاق وفي وسط لوح الشطرنج.

«شكرا لك يا ليديا. لم احب خصماً الى هذا الحد من قبل.»

كان رالف قد قال احب، فكرت ليديا وذلك قبل ان تعود دقات قلبها الى الخفقان السريع، احب... تذكرني ذلك، يا ليديا هايلي.

حرق رالف في وجهها لبعض الوقت، وتأمل تعابيره كأنه يود حفرها في ذاكرته.

مشى الاثنان ويدهما متشابكة. فكرت ليديا بأنهما يتصرفان كما لو ان الخطوبة التي رتبها لخدمة مصالحتها كانت حقيقية، وكأنها ستؤدي الى... أجبرت ليديا عقلها على عدم التفكير بتلك الطريقة. ان الخطوبة مزيفة، تذكرني ذلك ايضا يا ليديا هايلي، فكرت الفتاة. وعندما كانا في طريق العودة الى الفندق، مرا بالقرب من جمهرة الناس الذين استمروا بإطعام الطيور الشرهة. مشت ليديا بخطوات غير ثابتة، فأحس رالف بذلك فأمسكها كأنه يود حمايتها. مشيا معا، جنباً الى

جنب، واخترقا الحشود، شكرته بابتسامة. هذا الشعور الرائع الذي يغزو كيانها عندما تكون برفقة رالف، إنه مجرد حلم..

نعم، انه حلم وكانت مجبرة على الاعتراف بذلك. كان حلما، ولكن تمننت بقوة لو انه يتحول الى حقيقة. لقد أحببت ذلك الرجل، كان يجب عليها الاعتراف، وهي تكن له عاطفة كبيرة تتجاوز حدود الصداقة.

ها هي نهاية الحلم، فكرت ليديا انه الواقع، لقد وصلت الى هذه المرحلة ولو لم يكن هذا الخاتم في اصبعها، لاعتقدت بأن الساعتين او الثلاث ساعات التي قضتها مع رالف كانت وليدة مخيلتها.

نادت مديرة الاستقبال رالف: «سيد فلدر، سيد رالف فلدر...» فتركها وذهب لملاقة المرأة الجالسة وراء المكتب.

كانت لغة التخاطب بينهما هي الالمانية، لكنها تبدلت الى الانكليزية عندما خرجت سيدة شقراء من المكتب. اشتكت السيدة: «لقد تركتني يا رالف. هل تخدعني؟ لقد شوهدت بصحبة فتاة شابة، كما قيل لي، وذلك إذ كنت تدخل المصعد.»

او لم تكن قد حزرت هوية الأنسة، فكرت ليديا، وكانت لهجتها الانكليزية اخبرتها عنها. من دون شك، كانت تلك الأنسة بريطانية مثلها، اما اسمها فقد كان لورا مارشان.

أزاح رالف يد لورا عن ذراعه ورأته ليديا إذ خرج من القاعة واقترب منها.

قال رالف بهدوء: «شكراً لك. كانت هذه الأمسية ممتعة جداً سوف أراك مجدداً بعد وقت قصير.» وعاد رالف إلى صديقته بعد أن ودع ليديا بهزة رأس وانحناءة خفيفة فيها الكثير من الجدية.

أحست ليديا بالأسى، ولم تستطع التغلب على ذلك الشعور، إذ مشت باتجاه السلالم.

قال رايموند: «مرحباً يا ليديا.» ومشى بخطوات واسعة حتى استطاع الوصول إليها. ثم وضع نفسه قبالتها، فلم تستطع إكمال طريقها. حدق بها ثم قال: «تبا، إن قام أخي بما يزعجك...»

قالت ليديا: «كلا، كلا. بالتأكيد، لم يفعل رالف أي شيء يتسبب بإزعاجي. فهو قد أراني المدينة ودعاني للعشاء، ثم تنزهنا.» وبعد وقت طويل أضافت: «وتكلمنا.»

«تكلمتما؟ بما تكلمتما؟ لقد قلت ذلك بلهجة أظهرت أن الأمر هو شديد الأهمية.»

دون تفكير، رفعت ليديا يدها لتزيح خصلات شعرها عن عينيها، فرأى رايموند الشعاع المنبثق من الخاتم.

قال رايموند محققاً به: «ما هذا؟ لماذا هذا الخاتم بالذات؟»

سألت مارتينا: «أي خاتم؟» التي كانت قد خرجت من المصعد وأنت للملاقاتهما: «أه، هذا الخاتم... يجب أن تتذكر يا رايموند كان هذا الخاتم لأمنا، ولقد أعطاني إياه أبي ولكنني لم أرد...»

سأل أخوها: «ليس لديك أي عاطفة، أليس كذلك؟ ولكنك تفتخرين بموهبتك الفنية...»

قالت مارتينا مؤنبة شقيقها: «لا تساوي غياب الشعور بغياب ردة الفعل العاطفية.» ثم سألت: «هل أعطاك رالف هذا الخاتم، يا ليديا؟ لماذا؟» وبدت مارتينا شديدة الدهشة. صرخ رايموند: «تمت خطوبتك إلى هذا الرجل، يا ليديا أليس كذلك؟ لا بد وأنت تتذكرين ما قلته لك عنه...» نظر حوله وسحبها إلى المكتب الذي كان رالف قد أدخلها إليه. تبعتهما مارتينا، ثم أقفل الباب.

قال رايموند محاولاً إنعاش ذاكرتها: «إنه يستعمل النساء لغرض في نفسه، أتذكرين؟ إنه يحقد على النساء. فهو لم يشف أبداً من ترك بياتريس له لتتزوج رجلاً أغنى منه بكثير. لا يمكن أن تكوني قد نسيت ما قلته لك.»

لقد نسيت ذلك، فكرت ليديا بتعاسة، ولا بد أن يكون رالف يعتقد الآن بأنني مثل بياتريس، وبأن كل ما أريده هو المكانة الاجتماعية الرفيعة والمال. كيف استطاعت ليديا الوقوع في فخ كهذا؟

قالت ليديا: «لقد فهمت ذلك بشكل خاطيء..» إذ أنها كانت قد حصلت على إذن رالف بقول الحقيقة لعائلته.

«إن... إن الأمر لا يجب أن يعلن رسمياً، ولكن...»

لمعت عينا مارتينا: «إنه سر عائلي يا ليديا، نعم، أضيفي صبغة ولمسة من الحيوية على حياتنا الاجتماعية.» هتفت مارتينا ممزحة ليديا: «إن السر يدخل عائلة فلدر. قولي لنا ما الأمر يا ليديا.»

«إن الخطوية ليست حقيقية.» وشرحت لهما الوضع. سألتها رايموند: «ما هو ذلك العمل الذي تكلمت عنه؟ وما هو المركز الذي منحك إياه رالف؟»

شرحت ليديا الأمر. ولاحظت مارتينا: «إذن لن تصبحي زوجة أخي» ثم اضافت وقد علت وجهها علامات الاشمئزاز: «مما يعني بأن تلك المرأة لورا مارشان لا تزال تتشبث برالف بمخالبها.»

قالت ليديا: كيف تستطيع لورا ان تنتظر منه القيام بأي خطوة؟ أعني بذلك خطوة تكون مقدمة لعلاقة متينة.» اجابتها مارتينا: إن لدى لورا اثنين من المواصفات المطلوبة..

وافقها رايموند قائلاً: «ولديها المال والمكانة الاجتماعية الرفيعة.»

علقت ليديا وقلبها يكاد ينفطر حزناً: «لا بد ان ذلك يجعلها بالنسبة إليه شخصاً مرغوباً به.»

هتف رايموند: «كذلك فهو يعطيها أملاً بالفوز.»

قالت مارتينا لأخيها: «سوف يعود أبي الى البيت غداً.»

تابعت وهي تبتسم لليديا: «وهو سوف يأتي من فانكور عبر الطائرة. سوف تتمكنين من مقابلته. انه شخص محبوب.»

قال رايموند: «يا لتلك العبارة. ولكنني اوافقك الرأي،

فهو رجل طيب ولطيف.» ثم بدا الحزن في عينيه. لم يستطع ابداً تجاوز الصدمة بعد موت والدتها.

هزت مارتينا رأسها موافقة: «حسناً، سوف أذهب الى

غرفتي. عمت مساءً يا ليديا.» وبدأ الأمل على محياها.

اردفت: «كنت اتمنى لو ان هذه الخطوبة كانت حقيقية.

فأنت زوجة أخ مناسبة.»

هتف رايموند: «زوجة أخ؟ ان مشاعري نحو ليديا يمكن

ان توصف بأي عبارة ما عدا بأخ...»

«ارجوك يا رايموند.»

«حسناً، كما قلت انني استطيع الانتظار.»

نصحته ليديا بلطف: «انظر حولك يا رايموند. هناك

العديد من الفتيات! ليليان مساعدة مارتينا الجديدة،

على سبيل المثال.»

امضت ليديا صبيحة اليوم التالي وهي تتجول في المدينة.

وجذب انتباهها الملصقات على لافتات الاعلانات.

كانت تحمل صوراً لموسيقيين من مختلف انحاء العالم،

وكان عدد كبير منهم في عداد المشاهير، وهم سيأتون

الى المدينة للمشاركة في مهرجان موسيقي.

بعد ان خرجت من شارع ضيق، رأت ليديا سوقاً. كان

هناك العديد من الأكشاك حيث كثرت الاطعمة الطازجة،

كالفاكهة والخضار.

كان المنظر فرحة للعين، فكرت ليديا، كذلك الأمر بالنسبة

لحاسة الشم. وتتشقت روائح المنتوجات الطازجة،

وسمعت هتافات السرور التي كانت تصدر عن المارة.

وكان هناك كذلك قطع من الخبز قد صنعت لتوها،

وصنعت منها جميع الاشكال والاحجام وهي معروضة

بفخر في وعاء زجاجي.

رأت مجموعة طاولات موجودة في الخارج الى جانب

الفندق. فجلست على احداها. وكانت ترغب كثيراً

باحتماء القهوة.

بينما كانت تحتسي القهوة، جالت عينها على قمم

بعيدة وتناهت الى اذنيها أصوات خافتة آتية من

البحيرة التي تبعد عنها بضعة شوارع فقط. وعلمت بأنها كانت تخزن الذكريات لتستعيدها عندما ستعود الى وطنها. ولكنها كانت معجبة بالخاتم الذي أعطاها... كلا، أعارها... إياه رالف، فلم تستطع منع نفسها من التأمل بأن يؤجل موعد مغادرتها البلاد، أو بأن يلغى الأمر نهائياً.

قال رالف: «ليديا، ان أبي قد وصل..»

كانت تتساءل عما يجب فعله، إذ انها كانت تعلم بأن رايموند في عمله ومارتينا تزور المتاجر في البلدة. لم تكن ليديا تأمل بأن تجد رالف. فقد كان لديه عمله، فهو يتحمل مسؤوليات عدة كمدير للفندق. الآن ها هو، بالقرب منها.

اضاف رالف: «ان ابي يود رؤيتك..»

«هل ذلك يتعلق بالعمل؟»

هز رأسه موافقاً ثم تبعته.

كان الرجل طويلاً ونحيلًا قليلاً، وقامته مستقيمة وهي إحدى الصفات التي يتقاسمها الأب وأبناءه. وقف وراء مكتبه، وعيناه كأنها تحاولان معرفة طبعها، تماماً كما يفعل رالف، فكرت ليديا.

«أبي، اقدم لك ليديا هايلي. اقدم لك أبي، ماكس فلدر..» امتدّت يد ماكس فوق المكتب: «أنسة هايلي، انا سعيد جداً بلقائك..» ووضع يده بيدها اقرب الى الترحيب الأبوي منها الى تحية رسمية، وقد أثار ذلك في قلب ليديا الكثير من الحرارة والدفء.

وقف رالف بالقرب من أبيه وقد شبك ذراعيه وهو يحدق

بملابسها... بنطالاً وسترة مزينة بالتطريزات... مما جعلها تشعر بعدم الارتياح، ولكنها ركزت انتباهها على الوالد.

قال ماكس مشيراً الى الكرسي: «ارجو ان تجلسي. كما قال لك ابني، فان الاهتمام الأساسي في حياتي، في هذه الأونة التي سلمت فيها اعباء العمل لابني..» وابتسم ماكس إذ نظر الى رالف وتابع: «يتمثل بدراسة انواع الجينة. وأرى بأنه أن الأوان لأركز اهتمامي على منتوجات بلدي. انني أمل ان اصدر كتاباً ولأقوم بذلك انا بحاجة ماسة الى مساعدة أنسة شابة فعلاً، فقد أكد لي ابني بأنك كذلك..»

نظرت الى رالف، واحمرت وجنتاها إذ رأت نظراته السريعة الساخرة. بالتأكيد، لم تكن افكاره الآن تتعلق فقط بالعمل والإدارة.

قالت ليديا مشيرة الى الكمبيوتر: «انت تحتاج الى أحدهم ليطلع، او... ليكتب ملاحظاتك على الكمبيوتر؟ وذلك باللغة الانكليزية كما قال لي رالف..»

اجابها ماكس فلدر: «بالضبط. هل توافقين على انجاز هذا العمل من أجلي؟» وكان في صوته مزيج من الأمل والحماس.

«نعم، سأفعل ذلك سيد فلدر..» وكان حماسها يعادل ذلك الذي سمعته في صوت ماكس فلدر وبدا هذا الأخير مسروراً لذلك الحماس ثم نظرت ليديا الى رالف. هل ستتجرأ على البوح بالحقيقة للوالد من دون ان تحصل على الإذن من رالف؟

«هل قال لك رالف؟» قالت ذلك وهي تمد يدها التي ظهر فيها الخاتم. قاطعها رالف: «لقد فعلت ذلك. هو موافق ويتفهم الوضع.»

علق ماكس: «الخطوبة ليست حقيقية، أليس كذلك؟» ابتسم بلطف: «للمرة الأولى في حياتي هل يسمح لي بالقول انني أويد اختيار رالف كما لو كانت الخطوبة حقيقية.» وتوجه نحو ابنه الذي لم تتبدل نظرة التحدي والتصميم التي ظهرت في عينيه منذ ان بدأ الحديث. اكمل والده: «رالف، لقد عقد هذا العهد السخيف على نفسه، وهو بالأب يتق بأي امرأة وألا يتعلق بها ابدا.» رفع كتفيه وظهر على وجهه بعض الاكتئاب: «ان رالف يسمح لخبيبة أمل واحدة بأن تسيطر على حياته وهو يعلم ان حياتي مع والدته كانت الافضل.» وظهرت غصّة في صوته: «على كل حال، ان ذلك يجعل منك فردا من العائلة، على الرغم من ان الخطوبة مؤقتة. وانني أوافق على ذلك.» عبرت عن امتنانها لكلام ماكس.

خرج ماكس من وراء المكتب، ثم قال بلطف كبير: «لا تستطيعين ان تعلمي كم انا مسرور لأنني سوف احظى بمساعدتك. سوف اسافر كثيرا في عدة انحاء من البلاد، وأجمع الأبحاث من أجل كتابي، ولكنني استطيع ان اعطيك عملا من الآن...» وتوجه نحو المكتب حيث كان الكمبيوتر وبجانبه وضعت رزمة من الاوراق قائلا: «هذه رزمة من الملاحظات. هل تودين النظر إليها لكي تتأكدي فقط بأنك تستطيعين قراءة خطي؟»

قرأت ما كتب على الورقة بالرغم من انها فعلت ذلك قبلاً حين كانت مع رالف. واذ رفعت رأسها ابتسمت له وقالت: «ان خطك هو افضل بكثير من خطي.»

«حسناً هذا ممتاز. الآن يجب ان اعود الى جناحي وأتصل بأصدقائي وأقربائي في عدة نواح اخرى من البلاد. لقد قررت المكوث عندهم، ان وافقوا على استقبالي وذلك حين انتقل بين بلد وأخرى.»

نظرت ليديا إلى الملاحظات ثم الى سرعتها «هل هناك أي مانع ان بدأت العمل الآن؟ اعني، لقد كنت ابحث عما افعله و...» نظرت الى ماكس الذي لمعت عيناه ثم الى ابنه الذي اوما برأسه موافقا.

قال رالف: «لدي موعد.»

قال ماكس: «وأنا بحاجة لأقوم بتلك الاتصالات الهاتفية.» اشار الى الرفوف قائلا: «سوف تجددين على تلك الرفوف كل الاوراق التي تحتاجين إليها. وهنا، يوجد الكمبيوتر والة الطباعة. كما ترين، يا أنسة هايلي لقد كان كل ذلك في انتظارك.»

«ارجوك، نادني ليديا، بالرغم من كل شيء...» ورفعت اليد التي كانت تحمل الخاتم الذي أعطاها إياه رالف بعد ان نظرت الى ذلك الرجل بتحد.

انفجر ضاحكا وقال: «تريدين القول بأنك خطيبة ابني؟» ثم تابع: «انني احب جرأة فتاتك الشابة يا رالف، لقد بدأت أفكر بأنك ربحت اكثر مما تتصور عندما رتبت هذه الخطوبة المزيفة.»

ضماقت عينا رالف: «ان كانت مخيلة ليديا تسيطر على عقلها،

إذن يجب ان تحضر نفسك للآتي، وذلك كيفما جاء..»
قال ماكس: «نعم، حسناً، ان حياتك العاطفية والخاصة هي من شأنك انت فقط.» ثم اضاف عندما وصل الى الباب: «اعلم بانك قد صدمت هذه الفتاة الشابة. نعم، نعم...» ورفع يده ليمنع ليديا من التفوه بأي احتجاج. «ربما ذلك لم يكن بسبب أي خطأ من قبلك، ولكنني لا اريدها ابدا ان تصدم أو تجرح لأي سبب آخر.»
احنى رالف رأسه ثم انضم الى والده عند الباب، قال: «لا اعتقد ان هناك أي خطر في حدوث ذلك يا أبي. فليديا تتفهم الوضع تماما وتعلم بان العائلة فقط تعرف حقيقة الأمر. أليس كذلك؟»

هزت ليديا رأسها موافقة: «ان لابنك حياته الخاصة يا سيد فلدر. وهو لا يحتاج الى ان... يمارس هواياته، وأنا متأكدة من ذلك، في مكان آخر. هل تفهم ما اعنيه يا رالف؟»

قال رالف: «انت تودين إثارة غضبي، أليس كذلك يا أنسة هايلى؟ انت تحملين خاتمي في اصبعك لذلك، اقترح بالآ تحاولي التسبب بنفاد صبري.» ثم تبع والده الى خارج الغرفة.

الفصل الخامس

مر بعد الظهر، وليديا مهتمة كثيراً بمحتوى ملاحظات ماكس المدونة على الورق. تنهدت بارتياح إذ رأت بأن ماكس قد رقم الصفحات على الأقل، بالرغم من انها كانت مبعثرة. بعد ان تفحصتها، أخذت تطبعها على الكمبيوتر.

كان في اولها: ان بلدي سويسرا شهيرة بالعديد من الصناعات كالساعات، الآلات، وصناعة الانسجة، فهي بلد سياحية جميلة. ولكن ما لا يعرفه الكثيرون هو وجود مناطق عديدة حيث تزرع الدوالي وحيث اصبحت صناعة العصير من التجارات المحلية المهمة. رن جرس الهاتف وقطعت ليديا عملها.

تسارعت دقات قلبها، فهي قد ظننت المتحدث سيكون رالف. ثم قالت: «انا ليديا هايلى. مرحبا مارتينا، نعم هذا انا، كيف عرفت ذلك؟»

«لقد اتصلت بقاعة الاستقبال. وكان احدهم قد رآك تتوجهين نحو المكتب. هل تستطيعين اعطائي القليل من وقتك؟ لقد اجريت بعض التعديلات على ثوبك هل تتذكرين كيفية الوصول الى مشغلي؟»

بعد بضع دقائق وصلت ليديا الى مشغل مارتينا. «هل تمانعين ان طلبت منك قياسه؟ حسناً.»

هتفت مارتينا بعد مرور بعض الوقت: «أليس ذلك عظيماً؟ هل يعجبك يا ليليان؟» وعبرت عن إعجابها بمظهر ليديا.

«اقترح عليك خلع الثوب حتى تقوم ليليان بكيه، عندها، ستتمكنين من ارتدائه في المساء. وذلك... سيكون بعد عشرين دقيقة. سوف تتناولين العشاء معنا رايموند وأنا، هل توافقين على ذلك؟ حسنا والآن، ارجو ان تشغلي نفسك بشيء حتى انتهي من ترتيب الأغراض.»

تأملت ليديا فستانا وضع وراء الباب ثم جالت في المشغل وهي تمعن النظر بالتصاميم والأقمشة التي وضعت في كل مكان. وقد اعجبت بألوانها، بقصاتها الجريئة وبقماسها الناعم.

قالت ليديا: «انت شديدة الذكاء.»

ضحكت مارتينا وقالت: «يمكنني ان ادعي الحياء وأنكر ذلك. ولكن... ان كوني من عائلة فلدر يجعلني ابتعد عن الخجل. كذلك انت أيضا تملكين موهبة لا تزال مخبأة... اعني موهبة خلاقة... ومعظم الناس يملكون واحدة. ان ذلك هو رأيي الشخصي. على كل حال حسب هيئة اصابعك انت تعرفين على البيانو؟»

كانت ليديا قد ارتدت الثوب الذي قامت ليليان بكيه، ولكنها توقفت متعجبة: «ان لديك قوة ملاحظة كبيرة. نعم، أنا اعرف على البيانو. لقد أخذت دروسا في العزف إذ كنت طفلة. وقد خضعت لعدة امتحانات في مادة الموسيقى، ولكنني لا أحبي حفلات موسيقية.»

هزت مارتينا رأسها، ثم قالت: «لا يستطيع الجميع الوصول الى القمة.» وهي تنظر بسرور الى صورة ليديا في المرآة، «كأن هذا الثوب قد صمم خصيصا لك. وأنا اعرف على الأقل شخصا قد لاحظ ذلك.»

«تعنين رايموند بالطبع.»

«هل فهمت الأمر بهذه الطريقة؟ أه، نعم، ان رايموند قوي الملاحظة. ولكن، كلا، كنت افكر ب... دعك من الأمر. لن يكون هنا في المساء.»

لا يمكن ان تكون مارتينا قد عنت شقيقها البكر بكلامها هذا، ولكن تلك الفتاة كانت على حق، فكرت ليديا وهي تنظر الى نفسها في المرآة، ان هذا الثوب يجعلها تبدو رائعة.

علق رايموند بينما كان يمشي برفقتها وهو يدخل المطعم: «من هي هذه الغريبة الرائعة الجمال، يا مارتينا؟ انا متأكد من انني رأيتها من قبل، ولكن...» ضحك رايموند وحاول ان يمسك بيد ليديا. ولكنها أزاحت يدها تلك، إذ كانت تضع في إحدى اصابعها خاتم رالف. فتمتم رايموند: «لا بأس، لقد تلقيت الرسالة وفهمتها. ولكن ستعيدين رمز الخطبة المزيفة الى صاحبه.»

وصلوا الى طاولتهم وأخذوا يقرأون لائحة الطعام، عندما رفعت ليديا نظرها نحو المدخل.

توقف الواصلان الجديان واصطدمت عينا الرجل الزرقاوان واللذان تصعب قراءتهما بعيني ليديا. وقفت رفيقته، تراقب المشهد وقد رسمت شفاتها طيف ابتسامة.

سألت ليديا نفسها: لم يكن من الممكن ان تكون رفيقة رالف تلك سوى لورا مارشان، أليس كذلك؟ وقد اخافها احساس الغيرة الذي اخترقها.

سألت لورا: «هل نجلس الى طاولتنا المعتادة، يا رالف؟»

بينما لعلت نبرتها الانكليزية في المطعم. دون ان تنتظر الجواب، اتجهت ضيفة رالف نحو النافذة ووقفت بالقرب من إحدى الكراسي.

ساعدها رالف على الجلوس ثم جلس قبالتها. بهذه الطريقة، فكرت ليديا بمرارة، يمكن لرالف ان يتأمل وجه صديقه ويدرس كل ملامحها، ليعلم متى يتغير مزاجها ويتأقلم مع ذلك.

علقت مارتينا بلهجة ساخرة، وهي تملي طلباتها على النادل: «ان حضرتها تحاول دائماً ان تجعل جيع الانظار تلتفت نحوها:» ولكن ذوقها في انتقاء الثياب يدعو الى الاشمئزاز ولكن لا بأس...» ثم نظرت بإمعان وتفحصتها جيداً: «لا بد انها دفعت مبلغاً طائلاً لتبتاع هذا الثوب، ولكنه لا يلائم ابداً لون بشرتها، ان البانعة التي نصحتها به كانت تفكر فقط بالمكافأة التي سوف تنالها.» اضافت مارتينا وهي تتجه نحو أخيها: «لماذا ذوق رالف في انتقاء صديقاته خاطيء الى هذا الحد يا رايموند؟»

اجاب رايموند: «لماذا توجهي إلي هذا السؤال؟ انني احاول ان احزر، ولكنني اتصور بأن الأمر هو على هذه الحال لأن رالف ليس لديه النية ابداً بالارتباط. انت تعلمين رأيه بهذا الصدد، وذلك منذ ان تركته بياتريس لترحل مع ذلك المليونير.»

قالت مارتينا وهي ترسم حركة مضحكة على وجهها: «ولكن انظر الى الورا، انها تحاول جاهدة لفيت نظر رالف، انها لا تعلم بأنها تدق على باب موصد تماماً، اعني باب قلبه.»

غضبت ليديا لأن قلبها قد تأثر كثيراً لكلام مارتينا، فهي قد حاولت جاهدة ان تقول لذلك القلب بأنه لا يجب ان يقع في غرام ذلك الشخص الجالس عند الجهة الأخرى من المطعم. ذلك الشخص وضع خاتماً في اصبعها، وذلك فقط للحفاظ على المظاهر.

قال رايموند: «ان باب قلبي ليس موصداً، يا ليديا. يمكنك الدخول إليه في أي وقت، وانت تعلمين ذلك.» وأمسك يدها.

سخرت منه شقيقته بسبب تلك الحركة المبالغ بها. قال لها رايموند مؤنباً: «انت ليس لديك أي مشاعر ولا آمال او عواطف ان كل ما تجنيه هو العمل. انت ورالف تتقاسمان هذا الوله بالعمل.»

قالت مارتينا وهي تدفع فنجان القهوة وتقف: «بما أنك تكلمت عن العمل...»

ترك رايموند يد ليديا وسأل شقيقته: «هل ستذهبين الى «مشغلك؟ هل ستكون ليليان معك. إذن، سوف ارافقك.» حاولت ليديا جاهدة اخفاء ابتسامتها إذ ان رايموند حول اهتمامه بشكل مفاجيء، وأخذ يفكر بفتاة أخرى.

سمعت صوت رالف يناديها: «ليديا، ليديا.» إذ كان الثلاثة يمرون امام طاولة رالف ولكنها تجاهلت نداءاته، فاجتازت المرمر قرب الطاولة وهي مرفوعة الرأس.

تساءلت ليديا: لماذا يجب علي ان أركض ملبية نداءه في كل مرة، خصوصاً وأنني أعلم بأنه يود تقديمي الى صديقه، لكي يجعلني افهم كم ان خطوبتنا هي موقته وخالية من المعنى.

بعد بضع دقائق، احست وكأن المنظر المترائي لها من خلال النافذة، يناديها للتزّه. حيث اختلط الضباب الخفيف باللون الذهبي للشمس وشعرت بالحاجة الملحة الى الخروج. تذكرت بأنها لم تحضر سترتها، فقررت عدم الرجوع الى غرفتها، لأنها لن تقطع مسافة كبيرة.

سمعت نبرة امرأة: «ليديا». فلم تستطع تجاهله هذه المرة، لأن الرجل الذي تلفظ بتلك الكلمة كان يعترض طريقها. علمت بأنها لن تستطيع الوصول الى المصعد. لذلك استدارت حين وصل رالف اولا الى هناك، فتح لها باب المكتب وسحبها الى داخل الغرفة قبل ان تستطيع ان تهرب او تغير وجهة سيرها.

اغلقت من قبضته وتوجهت نحو مكتبها، ثم ادعت بأنها تتفحص الاوراق التي دون عليها ماكس ملاحظاته. سأل رالف وقد تعكر مزاجه: «لماذا ادعيت بأنك لم تسمعيني إذ ناديتك عندما كنت في قاعة الطعام؟» كان بإمكانها ان تفصح عن غضبها، كذلك يمكنها الادعاء بأنها لم تسمعه. ولكنه سوف يعلم بأنها لم تكن تقول الحقيقة.

اجابت: «لقد اردت فقط ان تقدمني الى الأنسة صديقتك. لقد افترضت الكثير من الامور... مثلاً انني فعلاً اود مقابلتها. ان اظن بأنها تعلم حقيقة علاقتنا. على كل، من الطبيعي جداً تقول الحقيقة لصديقتك تلك.» قال رالف: «أنها لا تعلم شيئاً عن خطوبتنا المزيفة، فهي ليست من العائلة.»

«قولي لي، هل انت وشقيقي مقربان؟»

«انت لا تعلم شيئاً. فلدى رايموند احترام كبير للقيم الأخلاقية. انه ينتظر حتى يسمح له...» وشعرت ليديا بأنه ما كان يجب عليها التكلم بهذه الطريقة.

«إذن، انت تعترفين بأن رايموند يعني أكثر من صديق بالنسبة لك، كما كنت تدعين دائماً.»

قالت ليديا: «ليس الأمر كذلك.» وركضت نحو الباب وفتحتة، لكنها ابطأت عندما خرجت منه، لتحافظ على المظاهر. «الى اين انت ذاهبة؟»

«اني خارجة لكي انتزّه. ارجو الا تتبعني.»

لم يتبعها رالف، ولكنه مشى الى جانبها حتى وصلا الى الباب. كان المصعد خالياً، فقررت ان تغلق بابه بوجه رالف وان تضغط على الزر قبل ان يتمكن من الدخول الى المصعد. ولكنها سمعت احدهم يناديه في قاعة الاستقبال ثم تناهت الى مسامعها متممة مخنوقة ونظرت خلفها فرأته يختفي داخل المكتب.

تنزهت ليديا على مهلها، استدارت ونظرت الى فندق بانوراما الكبير. كان مبنياً على منحدر صخري عند الشاطئ. لا عجب ان كان المصعد الموجود على مستوى الأرض يستعمل بطريقة رائعة، فكرت ليديا. كذلك، لا بد ان يكون الضيوف في تلك الغرف يتمتعون بمناظر رائعة، فليس هناك أي مبنى من الطراز الحديث، فكرت ليديا وهي تشعر بالامتنان. بعد ان عدت النوافذ، استطاعت ان تحدد موقع غرفتها في الفندق، كان ستار النافذة الأرجواني، الذي اقل جزئياً، ظاهراً حيث تتناول افطارها في الصباح الباكر عادة. وكان ستار

النافذة يحميها من اشعة الشمس، وهو يناسب الستائر الأخرى. وكوّن مجموع ذلك بقعا جميلة من ألوان توزعت على طوابق عدة من المبنى.

استدارت ناحية البحيرة، وعادت بها الذاكرة الى الأوقات التي قضتها برفقة رالف. فكرت بأنه لا يجب ابداً ان تسمح له بالوصول إليها، كذلك يجب ان تتذكر دائماً ما قاله لها رايموند بشأن الموقف الغريب الذي يقفه من النساء.

وجدت ليديا مقعداً في ظل الشجرة. نظرت الى المياه، ولكنها لم ترها. كان جمال الجبال المحيطة بها مهيباً إذ اعطاها ضوء الشمس الغاربة مظهراً جذاباً فاتناً. كانت السفن تطفو، تعلو وتهبط بحذر عند ارتطامها بالأمواج الخفيفة، بينما ابحرت المراكب الشراعية.

لفت انتباه ليديا خيال موجود الى شمالها. وخفق قلبها عندما رأت رجلاً يقف عند حافة البحيرة، كان قد وضع يديه في جيبه ووقف يحدق بالأرض، انه ذلك الرجل الجذاب الذي يوحى بالحنان، والذي يزعجها كبرياؤه ويفرحها في أن معا.. اما حنانه، فهو يشعرها بسعادة تحملها على اجنحة من البهجة... ولكن كل تلك المشاعر كانت تنتهي بعد بضع لحظات، فتعود ليديا الى ارض الواقع وتشعر بقوة الصدمة التي تتلقاها في كل مرة. كانت متأكدة من ان رالف لم يرها. فهو يعتقد بأنها قطعت مسافة كبيرة وهي تنتزه.

سمعت رالف يناديها، وشعرت بأنها لم تعد وحيدة إذ كان يتقدم نحوها.

«لنجتاز هذا الشارع. إنه خطر، لا يجب ان يتشاجر رجل وامرأة على هذه الطريق الواسعة حيث تكثُر السيارات، أليس كذلك؟ بالإضافة الى هذا الأمر، تذكرني ما حصل في المرة السابقة عندما قطعت الطريق، إذ كانت السيارات تسير بسرعة.»

علت احتجاجات ليديا، ولكنها سمحت لرالف بمساعدتها على قطع الطريق بسلام. عندما حاولت سحب يدها من قبضته، استدار نحوها وقال: «هل تستطيع ليديا هايلي ان تتظاهر لفترة قصيرة بأن رالف فلدر هو صديقها وليس عدوها؟» لم تستطع ليديا اخفاء ابتسامتها: «هذا افضل يا عزيزتي.»

لقد ناداها عزيزتي. ولكن تلفظ بهذه الكلمة عن غير قصد، أليس كذلك؟

«الآن سوف نسير معاً. هل تمانعين ان قمنا بتسلق جدار المدينة، وليس الهضاب فقط؟ حسناً، لنسير في هذا الاتجاه.»

امسك رالف بيدها، فابتعدت عن البحيرة واتجهت نحو جزء آخر من المدينة. بعد قليل، كانا يقتربان من الحقول حيث توزعت الأبقار لتأكل العشب. كانت الاجراس المعلقة برقبة كل منها تصدر اصواتاً قوية ومتناغمة، كما لو كانت تخبر عن الراحة والسكون اللذين يتوافرا مع نمط من الحياة. وصلا الى اسفل الحائط الكبير حيث امتدت الطريق الرئيسية، وكانت رؤيتها جميلة كأنها تبين الفرق الشاسع بين عراقة الريف البدائي وحدثة الطرقات والسيارات.

قال رالف وهو يشير الى سلم طويل: «ان الدرجات التي ترينها تؤدي الى أسفل إحدى هذه الابراج. هل تودين تجربة هذه اللعبة؟»

قالت وهي تفتعل التحدي: «لِمَ لا؟ ربما ابدو لك نحيلة ولكني قوية.» اضافت وهي تبتسم: «على كل لقد استطعت الصمود بجدارة عندما صدمتني سيارتك، أليس كذلك؟»

«يجب ان اقوم بفحص جديد للكدمات قبل ان اعترف بصحة كلامك.»

علمت ليديا ما كان يعنيه رالف بكلامه هذا، ولكن ردة فعلها على كلماته ايقظت في نفسها العديد من الذكريات. قالت ليديا بعد ان حاولت ترطيب الاجواء بابتسامتها: «ان الجواب هو لا.»

«هل تعتقدين ذلك؟ أما انا، فلي رأي مختلف بالنسبة لهذا الموضوع. يا أنسة هايلي...» وكانت تعابير وجهه تنطق بما يود قوله، مما جعل ليديا ترتجف.

كانت تتبع رالف في الصعود وتحاول جاهدة اللحاق به عن قرب. قال لها رالف عندما توقفا للاستراحة بعد ان صعد السلالم: «لقد بني الحائط سنة 1400 وهناك تسعة ابراج. ان كلا من هذه الابراج يختلف عن الآخر، انظري. هذا البرج له سقف مثلث الشكل، وهو مغطى بالقرميد الأحمر، ولكن لذلك البرج الثالث نوع خاص من القمم، أما الرابع، فلديه قمم مزدوجة.»

سألته: «هل وصلنا فعلا الى القمة؟ خلت باننا لن نصل إليها ابدا.»

بدأ بالسير بمحاذاة الحائط، انقطعت انفاس ليديا لروعة المنظر الذي رآياه.

عندما سارا في طريق العودة، شعرت ليديا بيد رالف تمسك بيدها، قال بسرعة: «كلا، لا تبتعدي، انا صديقك ولست عدوك، تذكر ذلك. اعترف بأنني تساءلت عندما كنا في الأسفل عما إذا كنت قادرة على الوصول الى القمة.»

نظرت إليه: «هل اعتقدت فعلاً بأنني سأطلب الرحمة وأتوسل إليك بأن نعود ادراجنا؟»

«سوف تتحملين عواقب استفزازك.» ورفع يدها التي تحمل الخاتم.

«لكن ذلك لا يجعلني ملكاً لك. كذلك ليس لهذا الخاتم اي معنى حقيقي.»

«أنتي مستعد لإعطائه معنى في أي وقت تريدان، يا عزيزتي، عبري فقط عن رغبتك، وأنا مستعد لتحقيقها.»

ادارت ليديا عينيها لتتأمل مياه البحيرة المذهبة ونظرت بعدها الى الفضاء ذي اللون البرتقالي، وإلى الهضاب القريبة التي اصبحت راكنة ومستعدة لتستقبل الظلام الذي سوف يحل قريباً.

همست ليديا وقد احست بالغصة في حنجرتها: «أليس هذا رائعاً؟»

قال رالف موافقاً: «انه رائع حقاً.»

نظرت إليه فرأته يحدق بها وليس بالمناظر الطبيعية. وإن وصلا الى مدخل الفندق، بعد ان عادا من المدينة سيرا

على الاقدام، بقي ممسكاً بيدها طوال الوقت، ولكنها لم تنتظر إليه، إذ أنها خشيت من ان يكتشف حقيقة مشاعرها. وكانت تلك المشاعر تشغل عقلها بسبب قوتها.

كان صوت في داخلها يردد: لا تقعي في حب هذا الرجل، فأنت لا تستطيعين الوصول الى قلبه بالرغم من أنه منحك... كلا، اعارك... هذا الخاتم الموضوع في اصبعك. ولا يجب ان تخدعي نفسك وتفكري بأن الحنان الذي أظهره ما كان أكثر من نزوة عابرة. أو ربما أراد ان يبرهن لنفسه بأنه يستطيع النيل من تلك التي تعقد العزم على عدم الوقوع في حبائه.

تعقد العزم؟ تساءلت ليديا. ألم يأت قرارها بعد ان فات الأوان؟ ألم تسمح لنفسها بالقيام بما كان يجب عليها الامتناع عن فعله؟ كوني صادقة، كان عقلها يأمر عواطفها، واعترفي بأنك وقعت في حب هذا الرجل، وبأنك تحبينه الى حد أنه من الصعب ان يحتل أي رجل آخر مكانه في قلبك.

ألقي رايموند عليهما التحية إذ كانا يدخلان الى الفندق. نظر أولاً الى أخيه ثم إليها.

تعالى صوت رايموند مخنوقاً: «انها صديقتي».

اجابه رالف باللغة الالمانية وقد افتر ثغره عن ابتسامته ثم تكلم باللغة الانكليزية حتى تدرك ليديا معنى كلماته: «ان هذا فقط وليد ظنك وافتراضاتك».

نودي رالف فتقدم نحو غرفة المكتب الموجودة خلف طاولة الاستقبال.

سألت ليديا رايموند: «ما الذي قلته لراف؟» رفع كتفيه، ثم قال لها: «لقد اخبرته بأنك صديقتي أنا. تعالي لتناول المرطبات لقد امضيت الأمسية كلها وحيداً».

سألته ليديا ببراعة مزيفة: «اعتقدت بأنك ذهبت الى مشغل مارتينا لترى ليليان؟»

«كانت قد غادرت المشغل وذهبت الى منزلها. ان لديك الكثير من الفطرة السليمة، انتبهى من مخالبي أخي. ليديا، إبقى بعيدة عنه. لقد أخبرتك عن اساليبه مع النساء فهو لن يرتبط بأي امرأة».

كانت ابتسامته مليئة بالأمل واللفظ. كان لطيفاً جداً، فكرت ليديا، ولكنه لم يكن الانسان الذي تحب... ولكن الرجل الذي كانت متأكدة من انها تريده... والذي كان يجب ان تعترف بشعور الحب تجاهه... لم يكن ملكها كذلك. إذن، ما هو وضعها الآن؟

الفصل السادس

لم يغمض لليديا جفن وملت من محاولاتها للنوم. فأخذت حماماً ووقفت عند النافذة، لكنها لم تستطع إيجاد الهدوء الذي كانت تنتشده وهي تتأمل المشاهد الطبيعية. فالمنظر في الخارج لم يعد واضحاً إذ أن ضوء الشمس كان قد أختفى تماماً.

كان عقلها مشوشاً، أما جسدها فقد كان منهك القوى إلى حد أنها لم تستطع إيجاد الراحة. وكانت الذكريات الممتعة والأيام الجميلة التي قضتها مع رالف لا تزال تسكن مخيلتها وتعذبها.

لم تذوق طعم راحة البال منذ أن اكتشفت أمر وقوعها في حب رالف فلدر وعمق مشاعرها نحوه. فقد كانت تعلم جيداً حقيقة وضعها وبأن افتراقها عنه هو محتم، لذلك فهي لن تجد أي راحة البال من جديد.

«ليديا.»

اجابت بصوت اجش: «نعم.»

«هل تسمحين لي بالدخول؟»

كيف ستسمح له بالدخول، ان كانت تشعر بأنها غير قادرة على عصيان اوامره... وعواطفه؟

«ليديا؟»

حبست انفاسها كان صوته قوياً وملحاً. قررت الا ترد عليه وألا تطيع اوامره. ولكنه لم يكن أي رجل. فقد كان فرداً مهماً في إدارة الفندق، وكانت تعلم بأنه، ان

لم تفعل ما يريد، سوف يكرر طلبه، دون ان يكثرث لأمر وجود أحد الضيوف. لذلك، فتحت الباب قليلاً وهمست: «هل انصرفت من فضلك؟» لم تشعل المصباح، لذلك نظرت الى وجه رالف في الظل.

اجاب عليها بدفع الباب بواسطة كتفه، ففتحه كفاية ليتمكن من الدخول، ثم وقف متكناً إليه.

«لماذا حاولت إبقائي خارجاً؟»

بماذا تجيبه؟ اتبوح له بسر عاطفتها نحوه، تلك العاطفة التي تجد نفسها عاجزة عن السيطرة عليها؟

عدل رالف وضعه: «ربما تفضلين ان يكون رايموند مكاني.

لقد رأيتك في هذه العشية وأنت تجلسين الى جانبه.»

«كان ذلك لأنني لم اشأ جرح شعوره.» كان لا يمكن

اليديا ان تجيب، ولكنها علمت بأن رالف لن يصدقها

بل سيضحك بسخرية من كلامها.

«أشك، بأنكما لا تزالا مجرد صديقين.»

«انك مخطيء.»

«ماذا، إذن، هل احتل المرتبة الثانية بنظرك؟»

احسست بالهموم تلبد كالغيوم صفوحبها الرائع، وكان

ذلك بمثابة إنذار اخترق الحلم وأعادها الى ارض الواقع

مذكراً إياها بأن... رالف لم يعدها ابداً بالحب، كما

قال، عندما شرح لها بأن خطوبتها المزيفة منه تخولها

استلام العمل في مكتب أبيه، وذلك من دون صعوبة.

كان رايموند قد ألح عليها مراراً: ليديا، ابقني بعيدة عنه.

انه يتورط بالعديد من المغامرات، ولكنه لن يرتبط بأي

امرأة.

«أه، نعم. لقد نسيت امر رايموند. في يوم من الايام، سوف تخبريني انت.. او يخبرني هو بنفسه... عن حقيقة العلاقة التي تربطكما، وأعني بذلك الحقيقة الكاملة.»

همست ليديا بالاحتجاج، ولكن رالف كان قد وصل الى الباب. قال رالف وهو يلتفت نحوها: «غدا. سوف أكون في زوريخ، ولن أعمل بعد غد. أنوي الذهاب الى الجبل لأنجز عملا ولأتمتع كذلك بالراحة هناك. هل تودين مرافقتي إذ أنك لم تتعرفي حتى الآن الى تلك المنطقة؟»

كان صوت رالف شديد القساوة والبرودة، فشعرت ليديا بأنه يختلف تماما عن ذلك الشخص الحنون الذي كان منذ بضع دقائق.

اجابت ليديا ببرودة تمت لو انها تعادل برودة رالف: «شكرا لك. انني أقبل دعوتك.»

قال رالف بلهجة قاطعة: «حسنا.» كأنه ينهي صفقة تجارية: «جهزي نفسك للذهاب الى الجبل بعد الإفطار.» ثم حدد الوقت المناسب: «عمت مساءً.» وغادر الغرفة قبل ان تتمكن من الإجابة.

بدا اليوم التالي وكأنه لن ينتهي ابداً، فقد امضت ليديا القسم الأكبر من وقتها وهي تعمل على طبع الملاحظات التي دونها ماكس فلدري. وإذ تقدمت في عملها، احست بالاهتمام الشديد في ما يتعلق بالمعلومات المدونة.

امسكت سماعة الهاتف وطلبت قهوتها الصباحية ثم عادت الى مكتبها. وكانت الملاحظات تحتوي على العديد من المعلومات.

عندما حملت النادلة صينية القهوة إليها، شكرتها

ثم اكملت عملها، وتابعت قراءة الملاحظات. لاحظت ليديا بأن حامل الصينية الذي دخل لم يستأذنها قبل الدخول. فنظرت مندهشة ولكنها ما لبثت ان رأت مارتينا تنفجر ضاحكة.

قالت مارتينا: «لقد تساءلت كم ستستغرقين من الوقت حتى تعودي الى الواقع، فأنا لم اشأ إزعاجك إذ كنت تحاولين التركيز على عملك.»

توقفت ليديا عن العمل ثم سكبت القهوة في فنجانين. قالت مارتينا: «لقد داهمك بالصينية، لقد أتيت لرؤيتك على كل حال. شكرا، لا اريد السكر، فأنا احاول ان اجعل مقاسي تماما مثل مقاسك وبالمناسبة، هل تستطيعين ان تسدي لي خدمة وتمنحيني بعضا من وقتك بعد ظهر اليوم؟»

«حسنا، موافقة شرط ان يكون الأمر ضمن امكانياتي.»

«أه، تستطيعين ذلك، وليس هناك أي صعوبات اريد منك فقط قياس بعض الموديلات. فالفتاة التي تهتم بذلك عادة ذهبت في إجازة.»

«وهل تركتك من دون عارضة؟»

«هذا صحيح. لقد وعدتني بأن تكون هنا بمناسبة انتهاء المنزل، لقد اخبرتك عنها، أليس كذلك؟»

هزت ليديا رأسها بالاجاب: «هل انت متأكدة من ان مقاس الاثواب يناسبني؟ اعني هل انت متأكدة من ان مقاس الفتاة ومقاسي متشابهان؟»

«انا اعلم تماما مقاسك بسبب الثوب الذي اشتراه لك رالف والذي هو من بين تصاميمي. لقد بعثت له

بالفاتورة. هل اعلمتك عن الأمر؟» اضافت مارتينا وقد ارتسمت الضحكة على وجهها: «لقد قال رالف: انا لا امانع البتة ما دمت احصل على خدمات توازي قيمة مالي. والآن، انا اتساعل ما الذي عناه رالف بكلامه هذا؟» «اني لا اعلم ما يعنيه.»

بعد ان انتهى الغداء، توجهت ليديا نحو مشغل مارتينا. ودامت فترة القياس وقتاً طويلاً، لكنها لم تمنع لأن الاثواب التي كانت تضعها، لمدة خمس عشرة دقيقة، أي حتى تجري عليها مارتينا بعض التعديلات، كانت انيقة جداً، فشعرت بالارتياح ونسيت تعبها. ثم دخل رايموند إذ كان قد انهى عمله. ولاحظت بأن نظراته الأولى كانت نحو ليليان التي توردت وجنتاها عند دخوله. وكان هناك عاملتان او ثلاث في المشغل كن جالسات قرب آلات الخياطة، او يهتمين بقص الموديلات التي صممها مارتينا.

قال رايموند ملقياً التحية على ليديا: «مرحباً يا صديقتي. أرى بأن شقيقتي قد اقنعتك بمساعدتها. فعائلة فلدر تستغل مواهبك قدر الامكان، أليس كذلك؟ اولاً، أبي وملاحظاته المتعلقة بأنواع الاجبان. الآن، ها هي اختي العزيزة، وكذلك أخي.» وبدا أنه لاحظ الاحمرار المفاجيء الذي لون وجنتي ليديا: «فهو يدعي، بأنكما مخطوبان، وذلك لكي يصد محاولات لورا مارشان للتقرب منه.»

فكرت ليديا بأن رايموند لن يتصور ابداً كم انعصر قلبها حزناً بسبب كلامه.

اضاف رايموند: «اعتقد انها اصبحت متطلبة كثيراً، وربما

انها قد ابدت ملاحظات عديدة حول رغبتها بالارتباط برالف فلدر، الرجل الوحيد الذي تعرفه والذي يستطيع ان يؤمن لها نمط الحياة التي اعتادتها، كذلك فهو سيضيف الكثير من المال الى حسابها المصرفي.»

قالت له مارتينا: «لقد عاهد بالأ يتزوج ابداً.» اجاب رايموند على كلامها وهو يهز برأسه غير موافق: «ليست لورا حمقاء ابداً، لذلك فهي ستجد طريقة يوماً ما لتوقع برالف في حباتها. ان لديها جميع المواصفات المطلوبة، وحتى انت يا مارتينا، عاجزة عن انكار ذلك.»

«حسناً.» وأخذت تتأمل عملها: «ان ذلك رائع، يا ليديا، وأنا اشكرك على مساعدتك لي. هل تستطيعين الحضور ان احتجت إليك مجدداً؟»

«استطيع دائماً ان احضر الى هنا ما دام ذلك لا يؤثر على عملي في مكتب والدك.»

«هذا رائع. يا رايموند، باسم عائلة فلدر، اشكرك كثيراً لأنك احضرت ليديا الى لتقييم معنا لبعض الوقت.»

قال: «متى شئت.» ثم همس وقد غطت صوته الضجة الناتجة عن تشغيل آلات الخياطة الثلاث: «شرط ألا تأخذ

ليديا على محمل الجد أمر ارتباطها بشقيقي رالف.»

لم تستطع ليديا تناول طعام الافطار عندما احضر الى غرفتها، فهي عبثت بالطعام فقط لأن الحماس كان قد غلب شهيتها وجعلها تنتظر بفارغ الصبر ذلك اليوم

الذي ستمضيه برفقة رالف. وتسارعت دقات قلبها إذ رأت متكناً على مكتب الاستقبال في انتظارها.

تلاقت عيونهما إذ كانت ليديا تنزل درجات السلم. فهي لم تستطع انتظار المصعد بسبب نفاذ صبرها.

وضعت ليديا مفتاحها في الخانة المناسبة. أخذ رالف بيدها وقادها نحو المصعد. ولكن قبل ان يغلق باب المدخل وراعهما، نوّدي رالف، سمع هذا الاخير صوت النداء فتوقف قليلا وتلفظ بصوت منخفض، ثم تابع طريقه. قال رالف بحزم: «لن اعمل اليوم. كلا، لن اعمل اليوم ابدا. ولن اتحمل أي نوع من المسؤوليات، فأنا حر من جميع الواجبات.»

ذكرته ليديا: «سبق ان قلت لي بأنك سوف تمزج بين الاستجمام والعمل.»

«الى جانب ادعائك بأنك خطيبي. هل انت صوت الضمير؟» كانا قد توقفا وتهدئا لاجتياز الشارع المزدحم. قال: «سوف نمشي في المدينة، هل توافقين؟»

لم تبد البحيرة ابدا غامضة كما هي عليه الآن. فقد خبا ضباب الصباح الجبال وألبس مراكب البحيرة أوشحة رائعة. دبر رالف امر صعودهما الى الباخرة ثم نظر إليها مبتسما ابتسامة خفيفة، إذ كانا ينتظران انطلاق الباخرة. «ان لديك بريقا خاصا بك، وتبددين كأنك سعيدة جدا. هل ان فكرة الصعود الى القمة تروق لك الى هذا الحد؟»

لم تستطع ليديا البوح بالحقيقة لرالف، فأومات برأسها موافقة. وإذ كانت تقف على متن الباخرة، فكرت بأنها سوف تحتفظ بذكرى ذلك اليوم لعدة سنين. فهي لم تكثر يوما لوجود الضباب الثقيل إذ انه كان معها. فهو اعطاها كل البريق الذي تحتاجه ليصبح يومها مشرقا.

كان سطح البحيرة هادئا، اما طيور النورس، فقد حامت حول الباخرة تفتش عن فتات الطعام تريد المزيد دائما وكأنها لن تكتفي ابدا، أه انا كذلك، لن اكتفي من رفقة رالف، فكرت ليديا كأنها في حلم وهي تنظر إليه. إذ وقف على بضع خطوات.

كان يحرق بالجبال التي بدأت اشكالها تظهر إذ كان الضباب يكشف عنها شيئا وشيئا.

مرت بواخر اخرى وهي ترش المياه حولها. وهبت نسيمات فتلاعبت بخصلات شعرها. انضم رالف إليها، ففكرت بأنه من الصعب ان تغدو يوما أكثر سعادة مما كانت عليه في ذلك النهار.

مشى القارب بسرعة وعلقت ليديا على ذلك: «ان القارب يسير على قوة ديزيل.»

قال لها رالف: «ليس مصمما للنزهة فقط، على الرغم من انه يحمل على متنه بعض السواح.»

قالت ليديا وهي تتنهد: «ان بلادك رائعة الجمال.» ابتسم رالف ثم قال: «من الممكن ان اكون منحازا لها، ولكن علي الاعتراف بأنك محقة. هل تعلمين بأن سويسرا مقسمة الى كنتونات؟ هناك ثلاثة وعشرون منها، في الحقيقة، وثلاثة من تلك الكنتونات مقسمة بدورها الى كنتونين. مما يعني بأن بلادي مكونة من ولايات صغيرة ولكل منها قوانينها الخاصة ومجلس نوابها. على الرغم من ذلك، فهي كلها تؤلف بلدا واحدا؟ هل انت مندهشة بما يسمى بالوحدة ضمن التنوع؟ ان ذلك يعود الى عدة قرون عندما أحس الفلاحون

في مختلف الكنتونات انهم بحاجة الى حماية حقوقهم التقليدية من القوى الاجنبية، لذلك، فهم اقسما على التكاتف والتضامن.»

«يبدو ان اللغة الأساسية هنا هي اللغة الالمانية.»

«نعم، انه نوع محدد من اللغة الالمانية. فاللغة المحكية في هذه المنطقة هي الشويتز داتش، ولكن الألمانية او الهوخداتش هي اللغة المكتوبة. وهناك على الاقل اربع لغات وطنية محكية في هذه البلاد كذلك، هناك بالطبع العديد من اللهجات المحلية.» وتتالت مناظر العديد من البيوت. كانت الباخرة تقترب منها، فغادر بعض المسافرين بينما

صعد آخرون على متنها، ثم تحركت وتابعت رحلتها.

اختفى منظر الهضاب وحل مكانه منظر الارض. وقفت ليديا الى جانب رالف إذ كان يتجه نحو محطة معينة.

فخفف سيره وتوقف بمساعدة بعض الحبال. قال رالف وهو يمسك بيد ليديا ويقودها نحو المخرج: «سوف نغادر السفينة الآن.»

تابعا الرحلة نحو رأس الجبل بواسطة القطار.

قال رالف: «هل كنت على علم بأن مهندساً سويسرياً هو الذي صمم محطة القطار المسماة بالسندودون ماونتين في الويلز؟ وقد بنيت قرابة العام 1800؟»

«كلا، لم أكن اعلم بذلك.»

«على محور كل مقطورة من هذا القطار، هناك أسنان العجلات او القوادم... وهي تدخل في السكة. لقد تم صنعها لأول مرة هنا، في سويسرا. كذلك، فقد تم طلب القاطرات من هنا.»

كان القطار يتوقف عند ابواب الحدائق فيصعد إليه اطفال حاملين حقائبهم، وذلك بعد ان يأتوا راكضين من منازلهم. عند محطات اخرى، لوح بعض الناس بأيديهم، فخفف القطار من سرعته وصعد إليه الركاب. كان المنحدر وعراً، لذلك لم يتمكن القطار من التوقف بشكل كامل.

قالت ليديا وهي تضحك: «يجب ان يتمتع الانسان بجسد مرن في هذه الناحية من البلاد، وذلك لكي يتمكن من الصعود الى هذه القطارات والنزول منها.»

ضحك رالف وهز رأسه مؤيداً كلامها، ثم جلس بالقرب منها: «اننا فخورون بهذا القطار لأنه اقدم قطار عجالات في اوروبا. ان هذا مدهش.»

اعطيت التعليمات للسائق... وذلك بواسطة الراديو، كما شرح رالف لليديا عندما وصل الاثنان الى القمة. رأيا مجددا اشعة الشمس والسماء الزرقاء.

«لقد صعدنا وها نحن قد وصلنا الى ما فوق الغيوم.» هتفت ليديا وهي تشير الى قمم الجبال البعيدة التي تراءت لها من خلال الوشاح الأبيض والرمادي.

هز رالف رأسه موافقاً. وقال: «في بعض الأيام، حين تكون السماء صافية، يمكنك رؤية الجبال من بعيد، مثلاً، هناك المونخ، اليونغرو والايغر، التي يمكن بلوغها بعد الانطلاق من الانتريكس، الذي يوجد على بعد ساعتين من هنا. قال رالف اذ كانا يغادران القطار ويصعدان نحو شرفة فندق فخم كان يطل على مشاهد خلابة: «سوف اجد لك مقعداً حتى تتسنى لك فرصة

للاستمتاع بهذا المنظر... بينما سأنهض الى الداخل وأعد صفاة مع المدير. فنحن نأمل بأن نضم عما قريب هذا الفندق الى مجموعة فلدر. هل ستكونين هنا على ما يرام؟»

أكدت له ذلك. وبعد ان اختفى رالف داخل المبنى، اخذت تقراً أسماء الوجبات التي يقدمها المطعم بعد برهة، اقترب منها نادل، وسألها عما ترغب بتناوله، وكان يتكلم الانكليزية بصعوبة.

قالت ليديا وهي ترسم الإشارات بيدها: «ان صديقي هناك. سوف انتظر قدومه، شكراً.»

«هل السيد فلدر هو صديقك؟ أه، سوف لن يتأخر بالعودة.» نظرت ليديا حولها، وهي تتأمل المناظر من جديد. وبالرغم من ان الضباب كان كثيفاً، فقد رأت اولاداً يلعبون، بينما ارتفعت اصواتهم فملأت الجو وبدأت كأنها تهرب من الفندق الفخم لتبلغ قمم الجبال البعيدة. كانت الاعلام تتمايل مع الهواء، وكل منها يختلف بشكله عن الآخر. فكرت ليديا بأن هذه الاعلام تمثل الكنتونات المختلفة التي اخبرها عنها رالف.

عاد رالف الى الطاولة، فأمسك بلائحة الطعام وقراها بصوت عال. لم يكن قد اخبرها عن نتيجة المحادثات، ولكن، فكرت ليديا وهي تتحسس خاتم الخطوبة المزيفة، لم يكن الأمر من شأنها.

قال رالف: «لنر، هناك نقانق مشوية مع سلطة بطاطا. هل تودين تذوقها؟ كذلك، هناك اسماك نهريّة مقلية تقدم مع البطاطا المسلوقة.»

«نعم، من فضلك اود تذوقها.»

نادى رالف النادل وأعطاه الطلب فهز النادل برأسه باحترام وابتعد.

قالت ليديا وهي تبتسم: «انه مهذب جداً، هل كانت صفاة العمل ناجحة؟ المعذرة ارجو ان تنسى سؤالي هذا.»

«ان الأمر الذي تباحثناه قد انتهى باتفاق ناجح جداً.» «جيد، وأشكرك لانك لم تقل لي بأن هذا ليس من شأني.»

احضرت لهما وجبات الطعام وأرفقت بعصير العنب الذي طلبه من اجلها. وأحضرت قطع كبيرة من الخبز اللذيذ مع الطعام. دخل اربعة فتيان وهم ينتعلون الجزم. جلسوا يتحدثون وأخذ بعضهم وضعية النوم.

سالت ليديا رالف وهي تنظر الى الفتیان: «هل تسلقت هذه النواحي كهؤلاء الشبان؟»

«نعم، لقد تسلقت هذه الجبال. وجبالاً اخرى في الجنوب.» «عندما كنت في المدينة، رأيت بعض اللافتات التي تعلن عن حفلة موسيقية.»

هز رأسه بالايجاب: «هل تعلمين بأن شعبنا يحب الموسيقى؟ انت كذلك؟ ان هذا، على الأقل، هو احد القواسم المشتركة بيننا.»

«وهل تحب لورا... لورا مارشان... الموسيقى كذلك؟» عندما استدارت عيناه الباردتان نحوها، تمت ليديا او كان من الممكن ان تختفي تحت الطاولة. ولكنها لم تستطع منع نفسها من طرح ذلك السؤال. فكرت، فاننا ارادت ان يقول لي رالف بأن لورا لا تعني شيئاً بالنسبة له حتى أنه لا يعرف ما تحب وما تكره في

عدة مجالات، كالموسيقى مثلاً. متى اتوقف عن تمني المستحيل؟ فالمستحيل، بالطبع هو ان يبادلها رالف الحب، ذلك الحب البائس الذي كان يزداد قوة مع كل اطلالة نهار جديد.

«عفوا، لقد تفوهت بالكلمات الخاطئة مجدداً. فهذا ليس من شأنى ابدًا. هل انت ذاهب؟»

«اتعنين الى الحفل الموسيقي؟ نعم، وأنت سترافقينى كذلك. لقد اشتريت بطاقة لك..»

شكرته قائلة: «من المؤكد بأننى سوف ادفع ثمنها، عندما...» قال رالف ممازحًا اياها وهو يمسك بيدها: «عندما ترثين ثروة من عمك الغني الذي ليس له وجود على وجه الارض. لقد دفعت ثمنها يا ليديا.»

عندما عادا الى الفندق، تبعها رالف الى داخل غرفتها، قال: «هل انت مرتاحة هنا؟ كان يجب ان ارتب امر حصولك على غرفة مع توابعها او على جناح كامل. سوف اطلب منهم نقلك الى جناح، هل توافقين على ذلك؟»

هتفت ليديا وهي تفكر بالمبلغ الباهظ الذي عليها ان تدفعه مقابل حصولها على جناح: «كلا شكرا لك، ولكنني لن امكث هنا لمدة طويلة، لذلك، لا داعي للتغيير.»

«لن تمكثي هنا لمدة طويلة؟ هل تريدين التراجع عما وعدت به والدي والتخلي عن العمل الذي كلفك به؟»

«كلا، بالطبع لا. لم يكن ذلك هو ما عنيت.»

«ما الذي عنيته إذا؟» ضحك وهو ينظر الى عينيها بينما كان قلبها يرقص بفرح. كان هناك دفء في عينيها كفيلا بتدمير كل وسائل الدفاع التي حصنت بها نفسها.

حتى تلك اللحظة، فكرت ليديا، لم تكن تعي تماماً عمق مشاعرها نحوه. فقد كانت تلك المشاعر قوية جداً، ولن تتمكن من نزع رالف من مخيلتها، حتى لو اختفى من حياتها تماماً.

رفع رالف رأسه ووضع اصابعه على ذقنها، ثم تلاقت نظراتهما.

قال رالف بلهجة خشنة: «عما قريب، سوف آتي إليك. فأنت لا تعلمين كم احبك يا ليديا.»

صعقت ليديا لما قاله وابتعدت عنه ثم قالت مشيرة الى يدها: «هذا الخاتم لا يعني شيئاً، لذلك ليس هناك أي ارتباط حقيقي بيننا، ليس لديك الحق.»

غدت نظراته قاسية من شدة غضبه: «تقولين لي بأنني لا أملك أي حق؟ فما هو محل الحقوق من الاعراب في العلاقة بين الرجل والمرأة خصوصاً في أيامنا هذه؟ ليس هناك أي ارتباط حقيقي بيننا.» قال رالف ذلك مردداً كلامها. «لا وعد بالحب.»

ولكن ما تشعر به كان هو الحب بحد ذاته، ذلك الحب الدافئ والعاطفي...

استدار رالف وتوجه نحو الباب.

«رالف.» استدار مجدداً، فأضافت ليديا: «اشكرك لهذا النهار الممتع.» ونظرت الى عينيها وتمنت لو بقي معها، لكنه اغلق شفثيه بحزم وتركها وحدها دون ان يتفوه بكلمة واحدة.

الفصل السابع

سألت مارتينا ليديا: «هل تودين المجيء مع رايموند ومعني الى الجبال؟ لقد بذلت مجهودا كبيرا في اليومين الأخيرين، وقد سجننت نفسك في مكتب أبي، لذلك نحن نعتقد بأنك تحتاجين الى بعض الهواء النقي.»

وقف رايموند وراء شقيقته عند مدخل الباب وقال: «اليوم هو السبت، حتى الرجال العاملين مثلي... يحتاجون الى بعض الراحة. ان الجبال ليست مكللة بالثلوج.»

اكملت مارتينا وهي ترتمي على احدى الكراسي في غرفة ليديا: «انها ليست كذلك في هذا الوقت من العام.»

«ارشداني الى تلك الطريق، وسوف اتبعكما.» كانت مرتاحة إذ احست بشفتيها ترسمان طيف ابتسامة بعد ان اقلعتا عن تلك العادة بسبب التعب النفسي الذي شعرت به منذ يومين، أي منذ ان غادرها رالف.

«ان رالف مشغول بأعماله الخاصة. هل تعلمين انه يملك مصنعا في زوريخ؟ حسنا فقد همست صديقتي بعض التحذيرات في أذنه، ويبدو أنه اخذها على محمل الجد. ان التحذيرات تتعلق بشركته، وليس به شخصيا. فهي لن تحذره ابدا بسبب تصرفاته، ذلك لأن حسابه المصرفي يجذبها كثيرا ويمنعها من اتهامه بخرق ارتباطاته.»

انضم الثلاثة عند المحطة. كان القطار يسير بهدوء، فكرت ليديا، كما لو أنه يتحرك طوال النهار على ارض

مسطحة. ولكن الحال لن يكون دائما كذلك، كما قال لها رايموند.

في يادى الأمر، مشى القطار بمحاذاة ضفاف البحيرة مارا بين الشاليهات والمنازل التي كانت معظمها مقسمة الى شقق. دوت صفارة القطار بصوتها القوي قبل ان يدخلوا النفق، ثم خرج القطار فرأوا مناظر كثرت فيها الحدائق المحاطة ببعض الهضاب. قطع القطار الوادي وما لبثوا ان وصلوا الى الجبال التي كانت الهضاب فيها تعج بالاشجار الخضراء.

شرح رايموند: «لقد بدلت الدواليب العادية بعجلات اخرى، انها تسمى بنظام عجلات الريفنجبايس ويواسطتها، يستطيع القطار ان يجتاز الاراضي المائلة.»

وصلوا اخيرا بعد ان تجاوزوا واجهات المحلات والشوارع حيث كثرت الشرفات المزدانة بالورود. كان العلم السويسري يرفرف بفخر.

قالت مارتينا: «سوف اراكما بعد قليل. لدي زبونة اريد ان أراها. انها تعيش في إحدى هذه الشقق هناك، وهي تريد ان تختار إحدى تصاميمي. سوف نقوم بخياطة رداء لها.» ثم اختفت داخل مبنى بعد ان لوحنت بيدها. نظرت ليديا حولها وأخذت تتأمل قمم الجبال الشامخة المهيبه التي تغوي العيون والتي تبدلت اشكالها بسبب التاكل الذي حصل مع مرور الزمن، وكانت تحيط بالمدينة ومصفوفة الواحدة تلو الاخرى.

شرح رايموند لليديا: «في الشتاء، يتحول هذا المكان الى منتجع للتزلج. لذلك يجب الا يخدع اخضرارها الآن

فتسلق هذه الجبال ليس سهلاً، ويجب ان تكوني بارعة في الرياضة قبل ان تحاولي تسلقها.»

لاحظت ليديا بأن العديد من المخازن كانت تعرض أدوات التزلج وثياب الرياضة المخصصة لتلك الرياضة.

«إننا على علو آلاف الأمتار عن سطح البحر، أي أننا تقريباً على ارتفاع ثلاثة آلاف ومئتي قدم. وهو أيضاً منتج صيفي، ونقطة انطلاق رحلات استكشاف الجبال.» ثم أشار رايموند الى بعض الشبان الذين كانوا يلبسون السترات، الجزمات والثياب الدافئة، ويحملون بعض الرزم على ظهورهم.

سألت ليديا مشككة بذلك: «هل يريدون تسلق تلك الجبال؟» اجاب رايموند: «في هذا الوقت من العام، يمكن لأناس كهؤلاء تسلق الجبال، ولكن يجب ان تري القمم في الشتاء.»

هزت برأسها وهي تحاول تصور منظر الجبال في الشتاء. انضمت مارتينا إليهما ثم ذهبا للغداء في المطعم المفضل لدى رايموند. تكلم مطولاً مع المضيقة التي كان يناديها باسمها، بينما دوت مارتينا بعض الملاحظات. اما ليديا، فقد تفحصت المطعم وتأملت المناظر في الخارج حيث كثرت واجهات المخازن وعمت الطرقات بالسياح. تنزهوا لبعض الوقت في المنتزه، ثم جلسوا واستمعوا الى فرقة موسيقية. وجالت عينا ليديا على المنظر فوقها، حيث رأت الهضاب الخضراء التي تقع خلف المنتزه وتوزعت الشاليهات ذات الشرفات الرحبة على الطرف الآخر من المنحدرات التي كانت محاطة بالأشجار.

قالت مارتينا في طريق عودتهم: «ان مجموعة الحفلات الموسيقية سوف تبدأ بعد ثلاثة أيام.» وهي تضع ملفها بالقرب منها، بينما جلس رايموند على المقعد الى جانب ليديا.

«سوف تأتي معنا يا ليديا، أليس كذلك؟»

هزت ليديا رأسها بالإيجاب: «لقد اشترى رالف بطاقة لي.»

قال رايموند: «ان مارتينا لا تستطيع ابداً نسيان موعد الحفلة الموسيقية الأولى. اتعرفين لماذا يا ليديا؟» وهو ينظر الى شقيقته مبتسماً ابتسامة ساخرة: «انها معجبة بأحد العازفين.»

رأت ليديا للمرة الاولى الارتباك يعلو وجه مارتينا، التي توردت وجنتاها من شدة الخجل.

قال رايموند بالحاح: «انها تحاول انكار ذلك، ولكن اسمه هو اوتوكوفمان. انه عازف بيانو مشهور. لا بد أنك رأيت صورته على الملصقات الاعلانية في المدينة.»

«هل هو داكن الشعر وحالم النظرات؟»

«نعم، انه هو - حلم - هي العبارة المناسبة فعلاً. انه حلم مارتينا.» سأل رايموند شقيقته الصامته والموردة الوجنتين: «أليس كذلك؟»

اجابت مارتينا: «وان كان الأمر كذلك؟ لقد رأيته عن بعد فقط ولكن، يجب ان اقول يا ليديا بأنني فعلاً اتوق لأن اصافحه.»

انفجر اخوها ضاحكاً: «من الصعب ان تعلمي ما يخبئه لك المستقبل. من الممكن ان يوافق احد منظمي الحفلة

الموسيقية على اصطحابك خلف الكواليس وتعريفك به عندما ينتهي الحفل.»

غرقتِ مارتينا في بحر افكارها، ثم قالت: «هل تريدان ثوبا مناسباً للحفلة يا ليديا.»

«ببساطة، لا يمكنني الموافقة على ارتداء إحدى تصاميمك، يا مارتينا... على الأقل لا يمكنني ذلك الا إذا دفعت ثمنها. ولكنني، في الحقيقة، عاجزة عن تحمل تكاليف تصاميمك مع أنني أحبها كثيراً.»

اجابت مارتينا موافقة: «حسناً، ولكن يجب عليك ان تأخذي بعين الاعتبار بأن الحفلة هي مناسبة مميزة. فهناك فرقة موسيقية ذات شهرة عالمية... بالإضافة الى عازف البيانو.. إنه ذلك الذي يعجبني. أعتقد بأن الأمر سوف يروق لك يا ليديا.»

سأل رايموند بتعجب عن سبب الملاحظة الأخيرة التي ابدتها مارتينا، فأجابته ليديا: «لا يتعلق الأمر بتاتا بعازف البيانو فأنا قد قلت لمارتينا بأنني اعرف البيانو، او بأنني اعرف طريقة استعمال هذه الآلة. لقد درست البيانو، ولكن المال نفذ عندما توفي والدي.»

جلست ليديا الى طاولة الغداء مع مارتينا وشقيقها. انتقلوا الى الردهة وتجادبوا اطراف الحديث حيث تتأبعت مارتينا وكانت ليديا تحاول ارغام نفسها على البقاء مستيقظة. ثم أوصل رايموند ليديا حتى باب غرفتها.

قال رايموند: «اعتقد بأن طريق حياتك مقطوعة أمامي تماماً مثل...»

قاطعته ليديا: «لا تفعل ذلك، يا رايموند لا تعكر صفو صداقتنا الجميلة.»

لم تعلم كم اذاها هذا الحوار إلا بعدما غادر رايموند ودخلت غرفتها، مغلقة الباب وراءها.

خرجت شهقة من فم ليديا ثم بدأت ترتجف. كان هناك رجل مستلق جزئياً في كرسيها، لقد بدا مسترخياً تماماً ولكنه لم يكن نائماً... فكرت ليديا بذلك الاحتمال، ولكنها بدلت رأيها إذ رأت الصقيع في عينيه.

عندما تكلم ذلك الرجل، لم يذكر ابداً ما رآه. ربما أنه لم يسمع، فكرت ليديا، وهي تتمنى ان يكون ذلك صحيحاً.

قال رالف: «اعتذر لأنني تسببت لك بصدمة كهذه، ولكنني متعب جداً. وعندما يكون الرجل بهذه الحالة، فهو يذهب الى أي مكان او بالأحرى الى أي شخص يعتقد بأنه سيفهمه وسيتعاطف معه. هل انا مخطيء؟»

اغلق عينيه وأسند رأسه الى ظهر الكرسي، كأنه لم يكن يطلب أي جواب.

سألت ليديا: «كيف دخلت الى هنا؟»

تحسس رالف مفتاحه ورفعته ثم قال: «هل قمت بعمل ممنوع إذ أنني سمحت لنفسني بالدخول الى غرفة من غرف الزائرين، دون أخذ الإذن بذلك؟»

قال وهو يعيد المفتاح الى جيبه: «هل ستشتكين الأمر الى الإدارة؟»

صرخت ليديا: «انت تهينني، انك مزعج وأنا اكره...» لم تكمل ليديا كلامها إذ سألها: «اين كنت؟»

«هل ستصدقني ان قلت لك بأثني قد قضيت الأمسية... مع رايموند ومارتينا. لقد تكلمنا ساعات، وهذا هو كل ما في الأمر.»

«إذا فقد تخيلت هذا الوداع في الخارج، قرب الباب؟»
«إنه طيب ولطيف، لذلك، لم اشأ جرح مشاعره.»
بدا استياؤه واضحا، مما يعني بأنها فشلت في إقناعه. ولكنه تمدد مجددا على الكرسي وقال: «انا متعب جدا. لقد اشتركت في معركة، كلا، ليست معركة قتال حبية، ولكنها معركة اقتصادية. ان شخصا اعرفه قد نبهني الى وجود خطر.»

فكرت ليديا بأنها تعلم من يكون ذلك الشخص.
«لقد حصلت المزايدة بالنسبة لمجموعة فنادق فلدر، بفضل صديقتي... علمت بالأمر قبل الوقت، فاستطاعت التحرك لردع الخطر، وبذلك أصبحت الشركة في مأمن. لقد ذهبت الى جنوبي البلاد، ثم قطعت بالسيارة مسافات بعيدة حتى أرى أبي وأتباحث معه بالأمر. وعدت بالطائرة بعد ساعتين من ذلك. لقد تعبت جدا في هذين اليومين.»

في الصباح التالي، سمعت صوتاً في الردهة... وكان صوت رالف وهو يردد على الجهاز الذي كانت ليديا قد لاحظت بأنه غالبا ما يحمله معه. فمن المؤكد بأنه قد نودي لأمر طارىء.

اتصلت مارتينا بها هاتفياً وسألتها: «هل اشتريت ثياباً أم بعد؟»
«اتعنين ثياباً للحفلة الموسيقية؟ كلا، لم افعل ذلك، ولكن

لدي ثوباً جلبته معي...» وقطعت مارتينا الخط بسرعة. بعد اربع دقائق، سمع قرع على الباب ودخلت إليها بسرعة حتى ان ليديا تراجعت من أمامها.

«لن اسمح لك ابداً بالاعتراض، يا ليديا، هذا الرداء جزء من مجموعتي. لست متأكدة ان كان سيعجب الناس، لذلك، اريدك ان تجربيه لي وتخرجي به. ارجوك. سوف اتبعك كل الامسية وأنا احمل دفترتي وقلمي لأدون ملاحظات عن ردات فعل الناس تجاه الرداء. هل تسدين لي هذه الخدمة؟» ولم تنتظر أي جواب بل تابعت: «هيا جربيه.»
انفجرت ليديا ضاحكة وهي تكاد تستسلم لإرداتها: «ان الثوب رائع.»

هتفت مارتينا: «وهو يناسبك تماماً. انظري الى نفسك. كلا، اعني، انظري الى الرداء.» قالت مارتينا وهي تفتش في الحقيبة: «سوف تحسن هذه القطع منظر الثوب.»
اخرجت عقدا يتكون من طبقات من الحبوب الحمراء، الكهرمانية، والسوداء، كذلك، فقد كان هناك سوار يد ملوئيل يمكن طيه عدة مرات حول المعصم ثم سألت مارتينا وهي تميل برأسها الى جنب واحد: «لن تتراجعي الآن.» اجابت ليديا وهي تنتهد: «حسنا، لن أفعل ذلك من اجلك فقط.» ثم نظرت بتمعن الى شكلها في المرآة. «ان ذلك رائع، فهو يناسبني تماما. حتى هذه الحبوب جميلة جدا.»
قالت ليديا وهي تشير الى الحبوب الموجودة في العقد وسوار المعصم.

«لقد اتفقنا، إذن ويعد ذلك، سوف نعيد الثياب الى المجموعة التي صممتها خصيصا للحفلة التي ستقام

في المنزل. فالمنزل سوف يصبح جاهزاً، هل تعلمين ذلك؟
والعائلة سوف تنتقل إليه عما قريب.»
فكرت ليديا: ان ذلك يتركني في الصقيع.
عبست مارتينا، هل قرأت أفكارها بطريقة صحيحة؟
وقالت مارتينا: «هل تفكرين بحزم امتعتك والعودة الى
ديارك؟ ولكن سنكون بحاجة اليك في منزل فلدر، أليس
كذلك؟ فأنت تقومين بمساعدة والدي في أعماله.»
«ولكن...»

لكن مارتينا استهجت كلام ليديا بشدة: «ليس باستطاعتك
الذهاب والابتعاد عنا يا ليديا. فأنت الحاجز الوحيد
بين تلك المرأة الحقيرة، لورا مارشان، وراف، خصوصاً
وان هذه المرأة تود ان تجعله يتزوجها.»
جاء دور ليديا لتقطب حاجبها: «لا يمكنني تصور الأمر
بهذه الطريقة.»

وقالت: «انت تضعين الخاتم، لذلك فإن رالف لا يستطيع
ابدا الارتباط علنا بلورا. ألا تفهمين ذلك؟»
تسارعت نبضات قلب ليديا، ولكنها ذكرت نفسها
بأن رالف يستطيع الارتباط بلورا سرا. فقد كان أمر
خطوبتهما احد اسرار العائلة.

قالت ليديا: «شكراً لأنك اعرتني الثوب، سوف أحاول
عدم تلطيخه والمحافظة على نظافته.»
«ان لطخت هذا الثوب، سوف...» ثم خرجت مارتينا
من الغرفة وهي تضحك.

الفصل الثامن

تكدست رزمة اوراق الملاحظات التي ارسلها ماكس
بواسطة البريد وألة الفاكس. عملت ليديا طوال اليومين
التاليين فقالت في نفسها بأنها ستتأبر على عملها لإنهاء
هذه الاوراق، وبهذه الطريقة، لن تشتاق لراف كثيراً.
لم تعد تراه مجدداً، وقد قالت لها مارتينا بأنه عاد الى
زوريخ وكذلك لم يكن وحيداً.

عشية الحفلة الموسيقية، اتصل رايموند بالمكتب وقال لها
بأنه ينتظرها مع مارتينا في قاعة الاستقبال. اضاف
رايموند: «ألم يعد رالف من زوريخ بعد. لكن ذلك لا يهم
لأننا سنعتني بك.»

نزلت ليديا السلالم ببطء، إذ ان المصعد كان يعج
بالناس. فلم تستطع انتظار وصوله، ثم فتشت عن
صديقها ولكن من دون جدوى. فكرت بأنها ربما قد
وصلت في وقت مبكر، ولكنها كانت قد تعمدت المجيء
على الوقت تماماً. وصلت الى درجة السلم الأخيرة
عندما خرج رجل من الظل.

سالت ليديا وهي تأمل ان تخفي سرورها لرؤيته وذلك
بواسطة الحديث: «اين رايموند ومارتينا؟»
«لقد ذهباً. هل كنت تفضلين ان يرافقك الى الحفلة
الموسيقية؟»

اجابت ليديا بسرعة: «كلا بالطبع. كل ما في الأمر
أنني...»

«كنت تتوقعين ان يكونا هنا. لقد قالاً لي ذلك، ولكنني اجبتهما بأنني سوف اتولى الأمر.»

تفحصت عيناه وجهها الضعيف النحيل، ثم صدر عنه صوت صغير خافت: «هناك مناسبة واحدة. بدوت فيها أجمل مما انت عليه هذا المساء.» ثم تابع اذ رأى وجنتي ليديا تتوردان: «هل باستطاعتك ان تحزري متى؟ نعم، ارى انك حزرت.»

تمنت ليديا لو ان رالف لم يكن قادراً على قراءة تعابير وجهها بتلك السهولة، فهو كان قادراً على ادراك حقيقة مشاعرها وأفكارها.

«ان شقيقتك قد اقنعتني على ارتداء هذا الثوب. فهو من بين المجموعة التي سوف تعرضها في الحفلة عندما ستنتهي الأعمال في المنزل. اعني منزل العائلة.»

«لقد حزرت بأن هذا الثوب يمكن ان يكون من صنع مارتينا.»

«قالت بأنها لم تكن اكيدة من وقعه على النفوس والانظار، لذلك، فقد طلبت مني ان أسدي لها خدمة، لذلك ارتديته.»

انفجر ضاحكا: «يجب ان اعترف بذلك، انها ذكية. وليس فقط من الناحية الفنية. لقد خدعتك فعلا. فأنت سوف ترتدين هذا الثوب وهو لن يعود بعدها جديدا. على كل حال، لا يمكن ان تسمح مارتينا بأن يعرض أي من تصاميمها ان لم تكن واثقة من انه سوف يرضي أذواق الناس. ولكن هدفها هو عرض تصاميمها في هذه المناسبة الاجتماعية التي سوف تضم عددا من

السيدات. فهي تستطيع ان تقول لهن بأن الثوب هو من تصميمها وتجعلن يتأملن روعته ثم تعرض عليهن التعاون من أجل العمل.»

انفجرت ليديا ضاحكة: «انا لا أمانع بالنسبة لحصول ذلك. في الحقيقة، اشعر أنه لي الشرف بأن ارتدي إحدى تصاميم مارتينا.»

سأل رالف بلطف: «ألم يخطر على بالك بأنه من الممكن ان يكون الشرف لمارتينا إذا وافقت على ارتداء إحدى تصاميمها؟»

كانا قد غادرا المصعد ومشيا نحو موقف السيارات الموجود تحت الأرض: «كلا، لم يخطر ذلك على بالي قط. فأنا فتاة عاملة وعادية جدا. ولكن، عندما اعود الى ديارى، لن اتمكن من العمل مجددا. فأنا من دون وظيفة. من هي ليديا هايلي بالمقارنة مع زبائن مارتينا؟»

قادها رالف الى مقعدها وأخرج السيارة من الموقف. «أليس لديك طموح في الحياة سوى إيجاد عمل عندما تعودين الى بلدك؟»

شعرت ليديا بأن حدة الإثارة التي كانت تشعر بها قد خفت بسبب امرين. اولا، لقد بدأ رالف يقبل تماما فكرة مغادرتها البلاد في وقت قريب. ثانيا، فقد اعتقدت بأنه ربما يمتحن موقفها حيال المكانة الاجتماعية الرفيعة والمال. فهو يصر على اعتبارهما هدف النساء الوحيد. وصلا الى ردهة البناء حيث ستقام الحفلة الموسيقية وسلم رالف المفاتيح الى المشرف الذي كان ينتظر، وقيدت السيارة الى الموقف.

تأثرت ليديا بهيبة البناء بحجارته العريقة التي امتدت على اليمين وعلى اليسار.

دخلت ليديا برفقة رالف ووصلا الى مدخل ردهة الاحتفالات. سلمت البطاقات ولوحت الأيدي باتجاه رالف بيّداً ان بعض الأشخاص صافحوه باليد.

فكرت ليديا، من المؤكد ان رالف فلدر لم يكن فقط معروفاً في الأوساط السويسرية بل محبوباً كذلك.

احست بأن نظرات الناس التي كانت تتفحصها اتسمت بالحشرية، فقد قدمها رالف على انها صديقة العائلة وقد خيب ذلك أملها. ولكنها قالت في نفسها بأن ذلك كان طبيعياً جداً. كان الجو مؤثراً بالنسبة لمن يحضر الى الحفل لأول مرة، خصوصاً ان كان زائراً غريباً عن البلاد كما كانت الحال بالنسبة لليديا.

وقف بعض النسوة وهن يرتدين الأثواب والمجوهرات التي تدل على مدى ضخامة حساباتهن المصرفية وكرم أزواجهن الأغنياء. وقد كان الحفل هو أحد أهم أحداث العام. لذلك فقد تحضر الزوار وارتموا أجمل وأثمن الأزياء.

فكرت ليديا وهي تنظر الى نفسها كم مارتينا محقة، فشقيقة رالف قد عرضت تصاميمها في المكان المناسب، وفي هذه المناسبة حيث يكثر الاثرياء، مع ان العارضة كانت هي، ليديا هايلي وليس أي عارضة محترفة ومهمة... كانت كلمات مهرجان الموسيقى، كتبت بحروف كبيرة على لافتات طويلة علقت على الجدران.

انتباه ليديا صرخة صغيرة ويد تلوح لها، فعلمت

بأن مارتينا ورايموند هما قريبان من مكان وجودها. شقت طريقها نحوهما، فقال لها رايموند: «ان اخي الكبير لا يحترم اللياقات، لقد تركك وحيدة، لذلك سوف يكون لي الشرف، انا، رايموند فلدر، بأن اقودك الى مقعدك.»

قالت ليديا: «ان رالف لم يشأ تركي، ولكن احدهم قد امسك بذراعه و...»

«لا تحاولي الدفاع عنه، على كل حال، انا هو صديقك، صديقك الحقيقي وليس شقيقي. إنسي الخاتم يا ليديا. لقد قلت لك مراراً بأنه مجرد من أي معنى عاطفي.»

اشتكت مارتينا، ان حظي سيء. ثم ابتعدت وتبعتها ليديا، اما رايموند، فقد سار وراءهما.

توقفت مارتينا الى جانب احدى الطاومات حيث عرضت الاشرطة. كان هناك صور تعرفت ليديا على البعض منها، وكان معظمها يعود لأحد العازفين المنفردين في الأمسية.

همس رايموند: «انظري الى شقيقتي، انها ترمق صورة كوفمان. فعازف البيانو المنفرد هذا هو رجل احلامها انظري، انها تشتري احدى اشرطته.»

هتفت مارتينا دون حرارة وهي تنظر بشوق الى الصورة على الغلاف: «ارجوك اهدأ قليلاً، في يوم ما، سوف التقى به.» ثم رن الجرس، «تعالا، يجب ان نشق طريقنا الى مقاعدنا.»

نظرت ليديا بكثير من الأمل محاولة النظر الى رالف، ولكن رايموند، الذي فقد صبره، حاول ان يبعدها.

قال رايموند: «انسه، بالطبع، لقد نسي وجودك. انه على الأرجح يتكلم في موضوع الاعمال. لقد قلت لك قبل ان تأتي الى هنا بأنه مدمن على العمل. فشقيقتي وشقيقي هما من النوع ذاته. هل ترين؟» قال ذلك اذ كانت مارتينا تستدير نحو ليديا وتتظلم الحبوب امام ياقة السترة. ثم رتبت السترة، فأضاف: «ها هي تعمل حتى في هذه اللحظة. والآن هذه هي مقاعدنا، وها هي ارقامنا يا مارتينا. ان المقعد الذي يقع مباشرة على طرف الممر الرئيسي هو مقعد رالف.»

اعطى رايموند كل من الفتاتين نسخة عن برنامج الحفل، فقرأته مارتينا بعمق وتركت الصفحة التي تحمل صورة اوتوكوفمان مفتوحة. قرأت ليديا البرنامج بصورة سطحية إذ ان تفكيرها كان مركزا على المقعد الخالي الموجود الى جانب مقعدها. ووجدت نفسها اكثر عصبية إذ أنها لم تر رالف يأتي إليها. بقي مختفيا حتى بعد ان جلس افراد الفرقة الموسيقية في أماكنهم عند الفسحة النصف دائرية الموجودة تحت المنبر.

سأل رايموند شقيقته بسخرية لطيفة: «لم لا تضعين هذا الشريط جانبا. ألا تحتملين إشاحة نظرك عن صورة كوفمان؟»

قالت مارتينا وهي تمد عنقها لتحاول ان ترى ان كان كوفمان موجودا بين افراد الفرقة الموسيقية: «كلا.»

قالت ليديا وهي تنحني فوق رايموند لتكلم مارتينا: «انه العازف المنفرد، مما يعني بأنه لن يأتي الآن.» خفتت حدة الاضواء، وظهر رالف وجلس الى جانب ليديا.

حاولت ليديا جاهدة بالآ تظهر نوعية عواطفها في نظراتها، ولكن جهودها ذهبت سدى.

قال رالف بهدوء: «لقد حجزت، انها الحقيقة وأعتذر لأنني تركتك وحيدة هكذا. هل اشتهقت إلي؟» قالت ليديا: «ليس تماما.» وهي تبسّم ابتسامة غامضة.

قال رايموند وهو يقطب حاجبيه: «لقد اوصلتها الى مقعدها. على كل، فهي صديقتي انا.» «رايموند، أنا...»

قال رايموند: «حسنا، ليس المكان ولا الوقت مناسبين للمحادثة، ولا للعراك مع أخي.»

خيم سكون عميق في القاعة، ثم رفع قائد الفرقة الموسيقية يديه. ولمعت أنوار فظهر العازفون.

احست ليديا بالموسيقى تغزو مشاعرها وعقلها، فنسيت كل شيء ما عدا امر وجود رالف الى جانبها.

قراءة نهاية النصف الأول من الحفل، غادر قائد الفرقة الموسيقية المنبر ثم عاد الى الظهور مع العازف المنفرد.

ودوى التصفيق إذ ظهر شاب يافع ذو عينين براقتين وانحنى يحيي الحضور.

هتفت مارتينا لليديا: «يا للروعة، لا استطيع إشاحة نظري عنه، إنه رائع.»

تعجبت ليديا إذ ان مارتينا التي تتمالك اعصابها في العادة وتتكلم بواقعية كبيرة قد بدأت تهتم بشخص يصعب عليها التعرف إليه.

طوال وقت عزف كوفمان، تساءلت ليديا ان كانت مارتينا

قد تذكرت ان تتنفس. وكانت مارتينا اكثر المصنفين حماساً.

قالت لشقيقتها: «يبدو عزفه وكأنه أت من عالم آخر.» ثم حان وقت الاستراحة، فشق رالف طريقه نحو الخارج حيث اشترى المرطبات.

نظر رايmond حوله، بينما بدأت مارتينا بالتحدث مع امرأة شابة كانت جالسة بين الجموع. هم رالف بالتكلم مع ليديا، ولكن، وفي اللحظة نفسها، ناداه أحدهم، فعلمت ليديا بأنه سوف يختفي للمرة الثانية.

كانت مارتينا تقول: «نعم، أنا مصممة ازياء.» ثم تصافحت السيدتان وتابعت: «صدف ان صديقتي من انكلترا هي معي هنا، ها هي الآن...» قالت وهي تشير الى ليديا: «وهي ترندي احدى تصاميمي. هل تمانعين، يا ليديا؟»

هزت ليديا رأسها: «لقد وافقت على إسداء هذه الخدمة لك، انتذكرين؟»

قالت المرأة: «هذا عظيم انا فعلاً معجبة بتناسق الالوان وبالشكل العام للثوب.» ثم تحسست حقيبتها: «لدي قلم هنا... ولكنها لم تجده.»

قالت مارتينا: «اسمحي لي بإعطائك بطاقتي.» «حسناً، ما اسرعت.» تتمم رايmond الواقف في الخلف: «يبدو ان مارتينا تحمل بطاقة عملها بالصدفة. انها تحاول الحصول على زبائن جدد.»

رن الجرس معلنا انتهاء الاستراحة، عاد رالف وجلس الى جانب ليديا.

رأت ليديا مارتينا تبكي عندما عزف على البيانو، اوتوكوفمان على البيانو الكونشيرتو الخامس الذي ألفه بيتهوفن. تساءلت ليديا ان كان ذلك بسبب التعاسة إذ أنه كان من الصعب ان تلتقي مارتينا برجل أحلامها، أم بسبب روعة الموسيقى التي تهز الانسان بعنف، ولكن تسأولها بقي دون جواب. بعدما أنهى كوفمان عزفه، تعالت اصوات التصفيق ووقفت مارتينا بعد ان مسحت دموعها، فصفتت بحرارة مع الباقيين. وارتاحت ليديا إذ رأت بأن صديقتها قد استعادت اتزانها.

اقترح رالف عليهم الانضمام الى الحشود التي تجمعت وراء الكواليس، وذلك بعدما تكلم مع أناس كانوا على علاقة بمنظمي الحفل الموسيقي. لاحظت ليديا بأن مارتينا قد اخرجت الشريط الذي اشترته حديثاً من حقيبتها، وكانت تمسك به بإحكام، بينما عيناها تفتشان عن العازف المنفرد في الأمسية، ربما انها كانت تأمل الحصول على توقيعه.

اقتربت سيدة شابة وأبدت اهتماماً كبيراً بتصاميم مارتينا عند الاستراحة، وعرفت بنفسها، بأن اسمها سيلفيا هافتر، متزوجة من رجل اعمال سويسري. قالت السيدة الشابة: «اسمحي لي بأن اقدمك الى شقيقتي.»

فكرت ليديا بأنها تستطيع ان تشعر بقلب مارتينا يقفز في صدرها. ترنحت مارتينا، فخافت عليها من ان تقع. كانت سيلفيا هافتر تقودهما نحو اوتو كوفمان الذي كان واقفاً وعيناها تلمعان بالإثارة.

عندما نظر إليها، ازداد نورهما واذ صافح اوتو الفتاة،

قد تذكّرت ان تتنفس. وكانت مارتينا اكثر المصفيين حماسا.

قالت لشقيقها: «يبدو عزفه وكأنه أت من عالم آخر.» ثم حان وقت الاستراحة، فشق رالف طريقه نحو الخارج حيث اشترى المرطبات.

نظر رايموند حوله، بينما بدأت مارتينا بالتحدث مع امرأة شابة كانت جالسة بين الجموع. همّ رالف بالتكلم مع ليديا، ولكن، وفي اللحظة نفسها، ناداه أحدهم، فعلمت ليديا بأنه سوف يختفي للمرة الثانية.

كانت مارتينا تقول: «نعم، أنا مصممة ازياء.» ثم تصافحت السيدتان وتابعت: «صدف ان صديقتي من انكلترا هي معي هنا، ها هي الآن...» قالت وهي تشير الى ليديا: «وهي ترتدي احدي تصاميمي. هل تمانعين، يا ليديا؟»

هزت ليديا رأسها: «لقد وافقت على إسداء هذه الخدمة لك، انتذكرين؟»

قالت المرأة: «هذا عظيم انا فعلاً معجبة بتناسق الالوان وبالشكل العام للثوب.» ثم تحسست حقيبتها: «لدي قلم هنا... ولكنها لم تجده.

قالت مارتينا: «اسمحي لي بإعطائك بطاقتي.» «حسنا، ما اسرعت.» تتمم رايموند الواقف في الخلف: «يبدو ان مارتينا تحمل بطاقة عملها بالصدفة. انها تحاول الحصول على زبائن جدد.»

رن الجرس معلنا انتهاء الاستراحة، عاد رالف وجلس الى جانب ليديا.

رأت ليديا مارتينا تبكي عندما عزف على البيانو، اوتوكوفمان على البيانو الكونشيرتو الخامس الذي ألفه بيتهوفن. تساءلت ليديا ان كان ذلك بسبب التعاسة إذ أنه كان من الصعب ان تلتقي مارتينا برجل أحلامها، أم بسبب روعة الموسيقى التي تهز الانسان بعنف، ولكن تساؤلها بقي دون جواب. بعدما أنهى كوفمان عزفه، تعالت اصوات التصفيق ووقفت مارتينا بعد ان مسحت دموعها، فصفت بحرارة مع الباقيين. وارتاحت ليديا إذ رأت بأن صديقتها قد استعادت اترانها.

اقترح رالف عليهم الانضمام الى الحشود التي تجمعت وراء الكواليس، وذلك بعدما تكلم مع أناس كانوا على علاقة بمنظمي الحفل الموسيقي. لاحظت ليديا بأن مارتينا قد اخرجت الشريط الذي اشترته حديثاً من حقيبتها، وكانت تمسك به بإحكام، بينما عيناها تفتشان عن العازف المنفرد في الأمسية، ربما انها كانت تأمل الحصول على توقيعه.

اقتربت سيدة شابة وأبدت اهتماماً كبيراً بتصاميم مارتينا عند الاستراحة، وعرفت بنفسها، بأن اسمها سيلفيا هافتر، متزوجة من رجل اعمال سويسري. قالت

السيدة الشابة: «اسمحي لي بأن اقدمك الى شقيقي.» فكرت ليديا بأنها تستطيع ان تشعر بقلب مارتينا يقفز في صدرها. ترنحت مارتينا، فخافت عليها من ان تقع. كانت سيلفيا هافتر تقودهما نحو اوتو كوفمان الذي كان واقفاً وعيناها تلمعان بالإثارة.

عندما نظر إليها، ازداد نورهما وإذ صافح أوتو الفتاة،

أبقى يدها في يده لوقت طويل، حتى ان ليديا كانت متأكدة بأنه على وشك ان ينسى إعادتها لصاحبته. ثم عرفت سيلفيا بليديا ولكن ردة فعل العازف اللامع اقتصرت على ابتسامة مهذبة وهزة رأس. ارتجف صوت مارتينا إذ بدأ أوتو بالتكلم معها، ثم عاد الى نبرته الطبيعية، فارتاحت ليديا.

نظرت ليديا الى رالف، فشعرت بقلبها يتمزق عندما رأت وجه المرأة التي كان يحادثها انه مألوف لديها. فرحت ليديا لغيابها من الأمسية فهي بالنسبة للجميع، وبالأخص لعائلة فلدر، صديقة رالف، لكنها ادركت بأن الازدحام حال دون تنبها الى وجود لورا مارشان في الحفل.

على الأرجح، لورا مارشال هي التي احتجزت رالف لهذه المدة الطويلة قبل بدء الحفلة، وهي السبب وراء اختفائه في وقت الاستراحة. وهذا يعني بأن رالف عاجز عن الافتراق عنها متى علم بأنها في الجوار.

قالت ليديا في نفسها: حسنا، كان يجب عليها توقع ذلك، أليس الأمر طبيعياً؟ ألم تحذره لورا التي تتمتع بالنفوذ إذ أنها مراسلة اقتصادية، لتلك المناقصة التي لم يتوقع قط حدوثها؟ وبالإضافة الى ذلك، ألم تكن لورا جذابة الى اقصى حد ممكن؟

بينما كان رالف يتكلم، كانت عيناه تجولان بين الجموع وبدا أنه من المستحيل لفت انتباهه... حتى وقع نظره على ليديا. توقف عن الكلام ولم يكمل جملته ولوح بيده نحوها.

بدا الاستياء على وجه لورا عندما رآته يلوح لليديا، غيرت وضعيتها ووقفت بين رالف وليديا مكونة حاجزا بينهما، لكن رالف تحرك وهو يهتف بنبرة قوية رنانة: «ليديا.» فتغلب على الضجيج.

فكرت ليديا، لن افعل ما يريده، وصل رايموند إليها، وسألها: «هل تشعرين بالوحدة يا ليديا؟» وهو يهز برأسه ويشير نحو مارتينا: «انها بعيدة عنا الآن. يبدو ان حلمها قد أصبح حقيقة. انظري، ها هو أوتوكوفمان يدون عنوانها ورقم هاتفها. اتمنى لو اني كنت أدخل مثله الى قلوب النساء، ولكن الأنسة التي أحبها لا تشاطرنني مشاعري.» ثم اوقف محاولة ليديا بالإحتجاج على ما قاله وتابع: «كذلك فإن اخي محبوب من قبل النساء. انا متأكد من ان تلك المرأة سوف تحصل على مبتغاها منه في يوم من الأيام، ومارتينا لديها نفس الشعور. فهذه السيدة ذكية مثله وتمتلك مواصفات اخرى. لكنها ليست من النوع الذي أحبه. ارى بأنك تحاولين منع نفسك من التثاؤب، مما يعني بأنك متعبة وتودين العودة الى الفندق. تعالي معي لنستقل سيارة اجرة.»

عندما وصل الى باب غرفتها تركها رايموند وقال بأسى: «حسنا، انا اعلم متى يجب ان اغادر.»

نظرت ليديا من خلال النافذة، وحاولت تمييز خط البحيرة، وهي تتساءل ان كان رالف سينجح بالتخلص من مخالبا لورا مارشان وبالعودة الى الفندق في وقت قريب.

تنهدت لكنها قفزت عندما سمعت رن جرس الهاتف.

مشت ببطء لتصل الى مكان وجود الهاتف. إن كان رالف هو المتكلم، ومن سواه يمكن ان يتصل بهذا الوقت في الليل... فيجب ان يفهم بأنها ليست لعبة يحركها طوع إرادته.

قالت مارتينا بلهجة حماسية: «مرحباً».

قالت ليديا لنفسها: إذن لتهدأ دقات قلبك. وافترضت مارتينا بأن ليديا سوف تعلم في الحال عن تتكلم: «يجب ان اقول لك بأن شقيقته قد طلبت مني بأن اصنع بعض الاثواب لها. وهل تعلمين ماذا فعلت؟ لقد دعوته الى الحفلة في المنزل، وقد قبل دعوتي. قال بأنه غير مرتبط بأي موعد في ذلك اليوم وسر لعلمه بوجود بيانو في المنزل، لأنه ان شعر برغبة بالهروب من جو الحفل، يمكنه العزف، خصوصاً وأنه لا يحب الحفلات كثيراً. أكدت له بأننا نملك احدي افضل الانواع من البيانوهات».

قالت ليديا ممازحة: «إذن، اصبحت تناديه أوتو الآن، أليس كذلك؟»

«لقد أصر على ذلك، أه، يا ليديا، اشعر بأنني أطيير في الجو».

سألت ليديا وهي تضحك: «هل الوسيلة الوحيدة للطيران هو الجب؟»

«حسناً، لنسمها صداقة في هذه المرحلة، أليس كذلك؟ انها صداقة قابلة للتطور الى ابعد من ذلك تماماً مثل الالعب النارية تماماً، أه، ألم أخبرك؟ سوف تستعمل الالعب النارية في الحفل وعند عرض الازياء الذي

سأنظمه، بالإضافة الى وجود الكثير من الطعام.»
«ولكن المهم في كل ذلك هو عازف البيانو الشهير اوتوكوفمان، أليس كذلك؟»

«انت محقة، ستكون الحفلة رائعة. ولكن هناك شيئاً واحداً لن نقوم به، وهو ان نطلب منه العزف. فنحن لا نستطيع ان نتحمل نفقات حفلة من حفلاته.»

بعد انتهاء المخابرة مع مارتينيا، قرع الباب ودخل رالف ليكلمها. ما ان وصل، حتى رن جرس الهاتف، فركضت ليديا لتجيب عليه.

سألت ليديا: «من المتكلم؟ السيد فلدر؟ هل عدت؟ لم أكن على علم بذلك. هل تريد التكلّم مع رالف؟» غطت ليديا قسماً من السماعه بيدها قائلة: «إنه والدك.» وأعطته السماعه.

«والدي.» أنصت رالف الى كلام والده ثم اجاب: «كلا، إن رايموند لا يعلم مكان وجودي، ولا مارتينا. وبالتأكيد، حتى موظف الاستقبال يجهل ذلك.» ثم صمت مجدداً وبعدها قال: «لقد علمت اين تجدني، أليس كذلك، حسناً، ها انا هنا ونعم...»

قالت ليديا إذ رأت تقطيب حاجبي رالف: «ما الأمر يا رالف؟»

«لقد اتصل به العمال من منزلنا... أعني منزل العائلة وقالوا له بأن العمل قد انتهى والمكان أصبح جاهزاً للسكن ولم يبق علينا سوى زيارته للتأكد من ان كل شيء على ما يرام.»

«هل هذا يعني بأن موعد الحفلة قد اقترب؟»

إذ ذلك يعني بأن أيام اقامتها مع عائلة فلدري، وبالأخص إلى جانب رالف، قد أصبحت معدودة.

قال رالف: «نعم، بالتأكيد لن يكون هناك أي عائق لانتقالنا إلى هناك إن أردنا ذلك اليوم، لدي الكثير من الوقت، إنه ليس في مكان بعيد ولكنه يتطلب منا الذهاب إلى منطقة رائعة الجمال. أتودين الذهاب معي إلى هناك؟»

«أود ذلك.»

«حسناً، هذا جيد.» توجه نحو الباب ونظر إلى ساعته قائلاً: «بعد ساعة، سوف أكون بانتظارك في قاعة الاستقبال.»

الفصل التاسع

صعد رالف وليديا إلى الهضاب العالية بواسطة الباص. كانت الطريق وعرة تكثُر فيها المفارق والمنعطفات، وبدا من الصعب أن ينجح الباص الطويل على قطعها بسلام عند كل منعطف، كان الزمور يطلق صوتاً عالياً، ونغمات موسيقية يطيب للأذن سماعها، ولكن وظيفتها الرئيسية هي تنبيه الآليات الأخرى.

خافت ليديا، التي كانت جالسة بالقرب من رالف، مما يمكن أن يحدث أن جاءت آلية أخرى. وعندما اقتربت سيارة وهي تسير باتجاه الباص، حبست ليديا أنفاسها ووضعت يدها على فمها.

قال رالف مطمئناً إياها: «لدى السائق خبرة طويلة بالقيادة. انظري، إنه يتوقف في هذه الفسحة و ينتظر مرور السيارة.»

نظرت إلى الأسفل، ثم اغمضت عينيها فجأة إذ رأت وعورة الطريق، وبقي السائق منتظراً مرور السيارة.

ظل الضباب يغطي التلال حتى بعد انتهاء رحلة الصعود، لكنه لم يغطي الأنواع المتعددة من الزهور الملونة التي نبتت على طرفي الطريق وكان مالكو البيوت قد جمعوا القش تحضيراً للشتاء، فشكل أكواما ووضعت إلى الحائط وكانت قد كدست. شرح لها رالف كيف تكديسها النساء في موسم تجميع التبن.

ترجلا من الباص وقع نظرها على مشهد ريفي رائع.

قال رالف: «هذا جميل، انه يختلف عن كل الامكنة التي زرتها من قبل. فهو ريفي وأعتقد بأن هذه الكلمة هي الافضل للتعبير عما أراه فهي تتجانس مع طابع المكان، هل فهمت قصدي؟»

نظرت ليديا إليه وقالت: «انت فخور بموطنك، أليس كذلك؟»

قال رالف وهو يشير الى المناظر الساحرة حولهما: «وهل هناك احد ليس فخورا به؟»

كيفما جال نظرها، كانت ليديا ترى التعرجات في الأرض وقد سببتها الهضاب التي بدت معظمها وكأنها مائلة. وسطعت الشمس في البعيد، فلمعت القمم الشاهقة تحت اشعتها وظهرت ألوانها الفاتنة. كانت الطرقات تتقاطع وهي تقود الى مزارع وبيوت معزولة.

مشى رالف وليديا لبعض الوقت، ثم توقف قليلاً إذ انه اشار إليها مجددا الى موقع المدينة التي تركاها وراءهما. كانت السقوف الحمراء موزعة في التلال والهضاب، والبعض منها موزع على طرفي الطريق.

بدا المشهد للناظرين صغيراً جداً حتى يصعب التصديق بأن تلك البيوت ليست جزءاً من لوحة فنية.

توقفت ليديا عند حظيرة الماشية حيث وضعت ملصقات معروضة. قالت لرالف: «هل تستطيع ان تترجم لي محتوى هذه الملصقات؟»

فعل ذلك بكل رحابة صدر: «انها شهادات امتياز. لقد وضعها الفلاحون هنا، لأنهم فخورون اذ ربح قطيعهم

جوائز في عدة مباريات.» ثم سلك رالف طريق العودة، قال: «هناك شخص ما يجب ان أراه. تعالي، هل تشعرين بالجوع؟»

اجابت: «قليلاً.» نظرت حولها، وهي تتساءل عن احتمال وجود مكان يقدم الطعام في الجوار.

اقتربا من مقهى بني من الخشب، أما سقفه، فقد كان من القرميد الأحمر. قادها الى المطعم حيث يمكن رؤية الطبيعة دون سقف او حاجز، ثم جلست الى الطاولة، بعدها، وضع لائحة الطعام بين يديها.

«سوف أنهي عملي خلال عشر دقائق.»

غاب رالف لوقت اطول، ثم ابتسمت ابتسامة ارتياح اذ عاد اخيراً.

سالت ليديا وهي تبتسم: «هل اشتريت هذا المقهى ايضاً؟»

قال رالف وهو يجلس الى جانبها: «الجواب على سؤالك هو نعم على الأرجح.»

انفجرت ليديا ضاحكة: «هل نقضي معظم وقتك ساعياً وراء شراء العقارات كي تضيفها الى مجموعة فلدر؟»

«نعم، وفي بعض المناسبات. فانا كنت الآن اقوم بالتحقيقات اللازمة، هذا كل ما في الأمر. ولكن قلبي هو مع شركة الهندسة التي املكها في زوريخ.»

فكرت ليديا بأن قلب رالف سوف يبقى هناك، مع العمل. ألم يحذرها رايموند؟ فهو قد وصف رالف بالمدمن على

العمل. ففي حياته، لم يكن هناك مكان دائم لأي شخص.

تذكرني دوماً ذلك.

اختارت وجبة خفيفة مع قهوة. وحاورتها النادلة بالانكليزية إذ انها سمعتها تتكلم بتلك اللغة.

سألت ليديا تلك الشابة: «هل هو موطنك الأم؟»
«انا من هولندا.»

«ولكن انت تتقنين اللغة الانكليزية، لذلك، اعتقدت بأنك انكليزية.»

«إنه اطراء لطيف.»

قال رالف للنادلة: «هل تعيشين هنا الآن؟»

«نعم، ولكن ذلك سيدوم فترة قصيرة، والآن لدي غرفة خاصة في الطابق العلوي من المطعم. ولكنني سوف اعود الى ديارى عما قريب فأنا على وشك الزواج.»

قالت ليديا: «ان ذلك رائع.» وما لبثت ان مقتت البهجة التي تلالأت في صوتها. ماذا ستكون ردة فعل رالف؟

هل سيعتقد بأنها عاتبة عليه إذ أنه لم يعرض عليها الارتباط به؟ ولكنها تعلم جيداً بأنه يرفض رفضاً قاطعاً أي نوع من الارتباطات. نظرت ليديا نظرة خاطفة الى

وجه رالف ولكن تعابير وجهه كانت مبهمه.

قال رالف للنادلة: «هذا يعني بأنه سيكون هناك مكاناً شاغراً هنا؟» وهزت النادلة رأسها بالإيجاب: «هل اعلن

عن الحاجة الى نادلة؟»

«سوف يوضع الاعلان عندما سأعرف موعد سفري.»

قالت ليديا في نفسها ان كانت مجموعة فلدن مهمة بشراء هذا المقهى، فمن الطبيعي بأن يغدو أمر تأمين نادلة اخرى من بين اهتمامات رالف.

دخلت مجموعة من الرجال وأحدثوا ضجيجاً كبيراً،

وتوزعوا فجلسوا الى الطاولة الشاغرة. كان مظهرهم يدل على العافية، أما وجوههم فكانت ضاحكة مشرقة.

يرتدون البذات العسكرية الرمادية اللون بينما زينت الأحزمة البنية وسطهم ووضعت قبعاتهم على جنب رؤوسهم. رأوا الاهتمام الذي أبدته ليديا بمظهرهم،

فخلعوا قبعاتهم وقاموا بتحيتها.

احمر وجه ليديا إذ لامست يدها رالف بينما حملت عينها التساؤلات العديدة.

استدار رالف إذ لاحظ اهتمام الشبان برفيقتة. وقطب حاجبيه فامتثل الجنود لأوامره.

قال رالف لليديا: «سيبقون جنوداً لفترة قصيرة، ولكنهم مدربون جيداً.» واستدرا نحوهم مجدداً وهو يتكلم الألمانية. فهزوا رؤوسهم وأمسكوا بلائحات الطعام.

«يقولون بأنهم قد انهوا خدمتهم العسكرية. فهي إلزامية هنا، في بلادى.»

قالت ليديا: «ولكن... سويسرا هي بلد محايد.»

«نعم، هذا صحيح، ولكننا مستعدون لردع أي هجوم. هل تفهمين؟ بعد تدريبنا لأول مرة، نعود ونؤدي الخدمة العسكرية في اوقات محددة.»

نظر رالف الى ساعته وكأنه يفكر بأمر ما وعلمت بأن ذلك النهار الرائع الذي قضته معه قد شارف على نهايته.

قال لها: «سوف أقوم باتصال هاتفى، وأراك هنا بعد قليل. فالأمر لن يستغرق الكثير من الوقت.»

جلست ليديا وانتظرت وقتاً طويلاً حتى عاد رالف. غدت افكارها مشوبة بالغيوم السوداء خلال فترة قصيرة.

وأدركت مصدر افكارها السوداء تلك. فقد سمعت صوت رالف وهو يتكلم بالهاتف... ولكنه استخدم لغته الأم في الحديث. وفكرت ليديا بأن ذلك طبيعي جداً. ولكن تفكيرها تبدل إذ سمعت رالف يتلفظ باسم محدثته.. لورا مارشان.

لم يكن هناك أي مجال للشك. إذاً، فلورا مارشان هي المرأة التي سوف تفوز به في يوم من الأيام، فكرت وهي متأكدة من امكانية حدوث هذا الأمر. فقد كان للورا عدة ميزات، أليس كذلك؟ سألت نفسها ولكن الأمر الذي جعلها تضطرب أكثر هو ان السيدة كانت تفهم لغة رالف الأم وكيفية محادثته بلغة العاطفة واستعمالها بطلاقة.

سألت ليديا نفسها بياس: هل من الممكن ان يصمد رالف لمدة طويلة؟ فهو إضافة الى كل ما سبق، يرى لورا غالباً بحكم ظروف عمله، خصوصاً انها تتمتع بالمؤهلات التي تخولها إعطاء النصائح لرالف فلدور.

نهض الجنود بعد ان تناولوا الوجبات وشربوا بعض المرطبات، ثم توقفوا امام ليديا. ورفعوا قبعاتهم مبتسمين، ثم تكلموا باللغة الالمانية. ولم يتسع لليديا سوى ان تنقل نظرها بين اولئك الجنود، وهي ترسم ابتسامة وتتمنى بالآ ترحم مشاعرهم. ولكن الجنود شعروا بوجود رالف وراءهم، إذ انها رأتهم يهزون برؤوسهم ويرحلون. وهم يحثون الخطى وكأنهم يودون الفرار من غضبه.

سألته وهي تنظر إليه: «ما الذي كانوا يقولونه؟»

قال رالف: «كانوا يستعملون العبارات الشاعرية في حديثهم. لقد قالوا لك بأن لعينيك زرقة السماء مع بعض الغيوم في الأفق.»

صعقت ليديا لصحة ما قالوه، وتساءلت بدهشة من ان فترة التدريب تلك قد حولتهم الى قارئ أفكار.

«أرى بأن وجنتيك تتوردان، ولكن هل انت متأكدة، أنسة هاييلي، بأنك لم تشجعي هؤلاء الفتيان؟»

انتفضت ليديا واقفة ثم قالت: «لا بد انك تمزح، فكل ما فعلته هو النظر إليهم والتساؤل عما كانوا يفعلونه هنا.» وتوجهت نحو المدخل مرفوعة الرأس. وسار رالف بسرعة حتى وصل إليها. لكنها اضطرت للتوقف متأسفة لانتظاره إذ أنها لم تعلم ان كانت وجهة سيرها صحيحة.

قال رالف: «حسناً، حسناً، اهدأي.»

عندما استدارت ونظرت إليه، كان الباص يصعد الهضبة ثم توقف بانتظار الركاب.

أفلت رالف معصم ليديا ومشى نحو الباص، ثم توقف ليفسح المجال أمامها حتى تصعد قبله. ولكنه فعل كل ذلك بطريقة باردة ومهذبة في أن معاً. وفي طريق العودة، بديا كغريبين جلسا بالصدفة على مقعد واحد. كانت ليديا تعمل في المكتب إذ ان ماكس فلدور قد اعطاها، عند عودته من السفر، رزمة اخرى من الاوراق وقد دون ملاحظاته.

رن جرس الهاتف، قفز قلبها ولكنها ويخت نفسها، فمن المستحيل ان يكون المتحدث هو رالف، لانه سافر الى

فرانكفورت لانها صديقة. وسيكون بعيداً عنها لعدة أيام، كما قال لها قبل يومين، أي بعد انتهاء رحلتها في الباص. فقد كانا صامتين طوال طريق العودة حتى بلغا المصعد.

عندها، وبينما كان رالف ينتظر وصوله، وهو يقف الى جانبها، قالت له وقد غلبت مرارة ياسها على تفكيرها السليم: «اعتقدت بأنك ستأخذ لورا مارشان معك، أليس كذلك؟»

اجاب رالف ببرودة: «هذا صحيح.»

شعرت ليديا بأنها ستبكي من شدة الألم.

بدأ الباب يفتح فقالت قبل ان يقفل الباب تماماً فيحجب صورة رالف عن ناظريها: «أتمنى ان تستمتع بالإقامة مع صديقتك.»

عادت ليديا الى الواقع إذ سمعت صوت مارتينا التي كانت تقول لها: «ان الثوب الذي وعدت بتصميمه لترتيبه يوم حفلة تدشين المنزل قد اصبح جاهزاً. هل تستطيعين اعطائي بعض الوقت والمجيء الى هنا لقياسه الآن؟ ان لم يكن العمل الذي تقومين به طارئاً.»

اكدت ليديا لمارتينا بأن عملها لم يكن كذلك، ثم جرت نفسها الى مشغل صديقتها.

«ان وجهك قاتم يا ليديا، قولي لي ما الذي يقلقك؟ هل يتعلق الأمر بأخي؟»

سألت ليديا وهي تدعي الجهل: «ايهما؟»

«بالتأكيد، لا يتعلق الأمر برايموند. هل انا محقة؟»

«لا أعلم، ربما الأمر صحيح.»

قالت مارتينا: «اقدم لكن صديقتي ليديا.» وتوجهت بالكلام الى النساء الثلاث اللواتي كن يعملن.

هزت النساء رؤوسهن وكانت اثنتان منهن ترتبا بعض التصاميم التي حملت طابعها الخاص. أما الثالثة، ليليان، فقد توقفت قليلاً عن الخياطة وقالت: «مرحباً.»

جالت ليديا متفحصة كل الملابس التي كانت جاهزة لتعرض خلال الحفلة. ولكنها لاحظت ان هناك غرضاً قد غطي بالقماش، ووضع في الزاوية. ارتدت ليديا، بمساعدة مارتينا الثوب الذي طلب منها قياسه ونظرت الى صورتها بالمرآة.

قالت ليديا وهي تنظر باعجاب الى شكل الفستان الذي كان يلائمها تماماً: «هذا رائع، ولكنني لا استطيع قبول هذا الثوب منك. يا مارتينا، كلا، لا استطيع ذلك ابداً.»

قالت مارتينا: «يلى، وسوف تقبلينه بكل طيبة خاطر.» بدت تشبه كثيراً شقيقها رالف في تلك اللحظة، فكرت وهي تتساءل عما إذا كان هناك امرأة تمتلك طبعاً قريبة من طباع رالف: «لا تستطيعين ان ترفضى قبول الهدية التي اقدمها لك مفهوم؟»

قالت وقد استسلمت، ثم ارتسمت ابتسامة مضيئة على وجهها: «مفهوم.»

توجهت نحو الباب، وقالت لها مارتينا: «بعد الظهر، سوف نذهب، رايموند وأنا، الى المنزل لنتأكد من انه سينظف بعناية ومن ان كل شيء اصبح جاهزاً للحفلة التي ستقام نهار السبت. هل تودين المجيء معنا؟»

فكرت ليديا برزمة الاوراق التي كانت تنتظرها في

المكتب ثم قالت مارتينا وكأنها قرأت افكارها: «لقد قلت لي ليس لديك أي عمل يجب عليك انهاؤه بسرعة.»
«نعم، هذا صحيح، وأنا اوافق على المجيء معكما، شكرا لك.» وبينما كانت عائدة الى مكتبها، فكرت ليديا بأنها مستعدة لعمل أي شيء يشغل تفكيرها عن لورا مارشان.

قاد رايموند السيارة متوجهاً نحو المنزل. وصلت السيارة الى مكان محاط بصف من الأشجار ثم دخلت عدة ابواب اوصلتها الى منحدر وعمر.

كان المنزل واسعاً، كما اعتقدت ليديا، ويكفي لايواء عائلة فلدور. جدرانه طليت باللون الأبيض، وقد غطى سقفه بالقرميد الاحمر مع جزء ثاني فوق الشرفات الخشبية.

ادخل رايموند المفتاح في الباب، وعمت رائحة الدهان، الفريش، ورائحة السجاد الجديد.
قالت مارتينا: «هيا ادخلي.»

قالت ليديا: «أه، هناك العديد من الازهار.»

هزت مارتينا رأسها موافقة: «لقد عمل بانعو الازهار بجد. فقد استخدمناهم خصيصاً لينسقوا الزهور لمناسبة حفلة التدشين.»

بدت السجادات بنقوشها الناعمة الرائعة الجودة، والمفروشات التي دفع الكثير من الاموال من اجلها، لجعلها تبدو راتعة وبهية. وجدران المطبخ بلونها الابيض تبهر العيون، كذلك أدوات المطبخ التي وزعت في عدة نواح، كانت تبدو عليها آثار الاستعمال المتكرر.

قالت مارتينا: «ان متعهدي تقديم الطعام قد عملوا بجد. فهم يحضرون ليوم الاحتفال.»

فتنتت عينا ليديا إذ تأملت المشاهد الجميلة التي كانت تتراعى لها من خلال نوافذ الغرف الكبيرة.

فكرت ليديا انه من الممكن لها ان تقيم في هذا المنزل، ولكنها طردت هذا الحلم المستحيل من مخيلتها.

كانت قطعة الارض التي تشكل جزءاً من املاك عائلة فلدور تقع تحت النافذة مباشرة. وهي تمتد على مسافة كبيرة وتصل حتى البحيرة.

شرح رايموند لليديا: «هناك، على شاطئ البحيرة، يوجد ميناء السفن اما البناء الصغير هناك، بالقرب منه، فهو منزل خادمتنا وزوجها.»

قالت ليديا وهي تبتسم: «عندما تعرفت اليك في لندن، لم تكن لدي ادنى فكرة عن محيطك العائلي، فلم تخطر ببالي انك غني الى هذا الحد. لقد بدوت كأني شاب عادي، أليس كذلك؟»

«سوف ابوح لك بسر يا ليديا. انا شاب عادي. ان وجهت لكمة إلي سوف اصرخ من الألم.»

«ولكن العائلة هي...»

«تملك المال الكثير؟ هل تعترضين على ذلك؟ حقاً، يجب ان نعلقك على حائط غرفة شقيقي ليرى فيك مثال المرأة التي لا تبحث فقط عن المال والمركز الاجتماعي الرفيع. كما يقول عادة، بل انها تسير في اتجاه مختلف تماماً.»
ارجو ان تقول ذلك الى شقيقك، فكرت ليديا، ولكنها رسمت ابتسامة على فمها.

قالت مارتينا، وهي تدخل الى الغرفة: «هذا عظيم ورائع، ان المكان نظيف وجاهز للسكن غدا، يا رايموند، يجب ان نحزم امتعتنا ونحضر اغراضنا لكي ننقل الى هنا بعد ثلاثة ايام.»

أه، لا، بهذه السرعة؟ فكرت ليديا، ان غادرت عائلة فلدر الفندق، يجب ان انتقل منه انا ايضا.

قالت ليديا بتجرد: «سوف احجز بطاقة سفر على متن طائرة.»

بدت على وجه مارتينا علامات الدهشة: «الى أين سوف تذهبين؟ ان السيارة كافية لنقلنا من فندق بانوراما الكبير، ولا حاجة بنا الى الطائرة.»

«سأعود الى ديارى، والا، فالى أين؟»

«إلى ديارك؟ أه، تعينين بآنك ستعودين الى وطنك؟ ولكن هناك مكان لك في هذا المنزل، رايموند... استعمل مواهبك لاقتناع ليديا، فأنت تنجح بإقناع كل الفتيات.» قال رايموند وهو ينظر الى الاسفل: «ولكن أساليبي لا تنجح مع هذه الفتاة.»

«أه، يجب ان اكلم شقيقي رالف، ربما...» ثم رفعت مارتينا حاجبيها، وكانت حركتها تلك تحمل الكثير من المعاني، وفكرت ليديا بأن اهتمامات مارتينا لا تنحصر كما يبدو فقط بالعمل، بل ان تلك الفتاة تلاحظ التغيرات العديدة التي تحصل في نفوس الناس كنتيجة للاختبارات التي يمرون بها. «ربما يجب علي ان اطلب مساعدة رالف وموهبته في الاقناع، انا أعرف رقم هاتف المكتب الذي استأجره في فرانكفورت.»

«مرحباً، رالف.» استمعت مارتينا وقد قطبت حاجبيها، ثم غطت سماعة الهاتف بيدها وهي تصر على اسنانها وتزمجر... ان صاحبة رالف تتكلم الالمانية. فهي تعتقد نفسها في غاية الذكاء، ولكن في يوم من الأيام سوف تعي بانها تتذكى كثيرا: «مرحباً لورا، حسناً، انت تعلمين جيداً انه باستطاعتي التكلم بلغتكم ليس هناك من داع للت...»

وخنقت مارتينا كلمة (تباهي) فتابعت قائلة: «تكلمي معي كما لو كنت خبيرة باللغة الانكليزية. نعم، اود التكلم مع أخي ان سمحت.» وسرت ليديا إذا ان الألم الذي اعتصر قلبها لم يظهر للعيان، ولكن تملك بقلبيها جيداً وبشكل قوي. طبعاً، فرالف كان صريحاً جداً معها، وهو قد أخبرها بأن لورا سوف ترافقه: «رالف؟ ان رايموند وأنا موجودان في المنزل، هو جاهز لننقل إليه، ولكن صديقتك، ليديا... نعم... تتمسك برأيها فهي ترفض الانضمام إلينا يجب ان تقنعها بتغيير موقفها ها هي الآن، وسوف تتكلم معك.» ثم اعطت مارتينا السماعه الى ليديا.

«ليديا؟» لماذا بدا رالف غاضباً الى هذا الحد، تساءلت ليديا. فهي سوف تزيل عقبة عن طريقه ان عادت الى ديارها: «هل ان ما تقوله شقيقتي صحيح؟» «سأحجز تذكرة إياب الى ديارى، لماذا؟ لأنني لست جزء من عائلة فلدر.»

سأل رالف: «هل تحاولين حقاً إثارة غضبي؟ هناك غرفة للضيوف في المنزل... او اكثر من غرفة واحدة، كذلك

توجد غرفة صغيرة يمكنك استعمالها كمكتب لك. على كل حال، هناك الوعد الذي قطعتَه بمساعدة والدي..»
«انت من يتكلم عن الوعد، بينما...؟» وفشلت ليديا على خنق شهقة فاجأتها.

اعادت السماعَة الى مكانها، فأنهت الاتصال ولكنها كانت غير قادرة على وقف انهماج دموعها.
تلفظ رايموند ببعض الكلمات باللغة الالمانية.
تمتت ليديا: «إني أكرهه، إنه اناني، عديم الشعور، وعنيد... وهو يفكر بنفسه فقط.» وأفرغت ليديا كل المرارة التي كانت تشعر بها منذ ان تشاجرا، رالف وهي، وما كان منها إلا ان ذرفت دموعا غزيرة. بعد وقت طويل، توقفت عن البكاء وجففت دموعها.

تمتت مارتينا، وهي تحرك الستارة بقوة كأنها شخصا غير مرئي: «تلك المرأة، لورا، سوف اخرجها من حياة رالف وذلك بطريقة ما. وأعتقد بأنني وجدت الطريقة المناسبة. انتبهي يا لورا مارشان. انا مارتينا فلدنر، مصممة الثياب الشهيرة في عالم الازياء... حتى ولو كانت تلك الشهرة محصورة مؤقتا في بلدي. ان الانسة مارشان لن تصبح ابدا زوجة رالف فلدنر، فأنا لن أوافق ابدا على أمر كهذا.»

بعد ثلاثة ايام، حزم أفراد عائلة فلدنر امتعتهم وأصبحوا جاهزين للانتقال الى المنزل. طلب رايموند وجبة عشاء في مطعم الفندق، ودعا ليديا الى الانضمام إليه.

قبلت دعوته على مضض، اذ انها كانت قد فقدت شهيتها في الايام الاخيرة. وكانت تفضل قضاء

الأمسية بمفردها، والتنزه على ضفاف البحيرة. مشى رايموند وليديا فتوجها نحو الباب ليخرجا الناس من المطعم، ثم أشار رايموند الى البيانو. لامست ليديا الخشب الداكن اللون واللامع بحب ثم عبثت قليلا بالمفاتيح.

قال رايموند: «هيا ليديا اعزفي البيانو، انا اعلم بأنك تتحرقين شوقا لتجربة هذه الآلة. لا احد يعلم ما الأمر بعد، ولكن عزفك سيبدو رائعا ربما، تماما كعزف أوتو، صديق مارتينا.»

هزت ليديا رأسها مبتسمة ثم جلست على الكرسي بعد ان عدلت ارتفاعه ليلانم قوامها.

سألها رايموند: «هل تعلمين الى أين ذهبت شقيقتي في هذه الامسية؟»

قالت ليديا: «رأيتها تسير بسرعة بعد ان خرجت من الباب، وكانت تلوح بورقة. لقد بدت متحمسة جدا.»

«نعم، فتلك الورقة هي عبارة عن تذكرة قدمها لها... هل حزرت من؟ هذا صحيح، فقد قدمها لها أوتو كوفمان.

لقد كان في المنزل عندما زارت مارتينا شقيقته لجعلها تقيس الثوب الذي تخطه لها. هيا اعزفي يا ليديا.»

نقرت اصابع ليديا على المفاتيح إذ كانت تبحث في ذاكرتها عن معزوفات تتلاءم مع مزاجها. وخرجت من بين اصابعها اصوات جميلة وحزينة قليلا، وأغاني حب رومنسية أحييت ذكريات جميلة وصافية، مفرحة وأمنة...

وقد امتزجت بالرغم من كل ذلك، بالألم والقلق.

وإذ كانت تعزف، رفعت ليديا عينيها ونظرت الى وجه

رايموند ولكنها بسبب لعية الاضواء، رأت شقيقه بدلاً منه. وهو لم يكن مبتسماً ابداً، بل ان تعابيره كانت قاسية وكأنها تعنفها. أما عيناه فكانتا تلمعان، ليس بنور الحب، بل بسبب العتاب والغضب.

رفعت ليديا عينيه وتوقفت عن العزف، لم تكن قد شعرت بوجوده في الغرفة، ولكنها رآته يقف على بعد مسافة قصيرة.

أه، انه مقتنع بأنني كنت اعزف لرايموند، وبأنه كان يحتل افكاري، بينما كنت في الواقع افكر بك طوال الوقت يا رالف فلدر وأراك من خلال وجه أخيك. أحبك يا رالف فلدر.

تعالى صوت رايموند قاطعاً الصمت: «مرحباً.» ولكنه لم ينجح بتلطيف مزاج شقيقه.

تنقلت عينا رايموند من رالف الى ليديا، فهو بالطبع قد لاحظ علامات الغضب على وجه شقيقه، فقد رأى بأن شفتي ليديا ترتجفان. فلا بد انه فهم سبب حركة حنجرتها إذ ابتلعت دموعها التي هددت بأن تنحدر بسرعة. قال رايموند: «ان شقيقي قد عاد اخيراً. هل تود ان تعلم ما قالته صديقتي عنك؟» وهو يستدير لينظر الى شقيقه، بينما اغلقت ليديا البيانو ولكنها بقيت جالسة.

قالت ليديا: «أه، لا تخبره يا رايموند.» ولكن صرختها لم تلق صدًى في نفس رايموند ولم يصغ رايموند ابداً الى رجائها. كانت تقول: «بأنك أناني، عنيد وعديم الشعور. وبأنك تفكر في نفسك فقط، والآن، هل تروق لك هذه الصفات؟»

قالت ليديا: «ارجوك، لم اعن ذلك ابداً... فقد كنت غاصبة في حينها و...»

«لقد كان ذلك عندما تكلمت معك في الهاتف. لقد جعلتها تبكي، هل تعلم ذلك؟ ومن كان حاضر ليهدىء من روعها؟ انا، شقيقك الاصغر، انها صديقتي، هل تفهم؟» قال رالف اخيراً: «رايموند يا شقيقي الأصغر، لقد فات الأوان. ألم تخبرك ليديا بأنها اصبحت ملكي؟»

سال رايموند وهو لا يكاد يصدق ما سمعته أذناه: «ليديا؟ انه مخطيء، أليس كذلك؟» وعم صمت طويل.

نظرت خلاله ليديا الى رايموند: «كلا، ليس رالف مخطئاً.»

بدأ رايموند يسير مبتعداً، كما لو أنه لم يعد يستطيع السيطرة على مشاعره لمدة أطول. ولكنه استدار وقد رفع قبضته ووجهها باتجاه ذقن رالف: «لماذا، انت...؟» صرخت ليديا من دون وعي: «لا.»

قال رايموند: «حسناً...» ثم ابعد قبضته عن وجه شقيقه الذي لم يحرك ساكناً مضيفاً: «لن أوذي، انت تعلمين...» وأخذ صوته يرتجف قليلاً... «ما زلت احترمه واحبه، بالرغم من انه قد ألحق الأذى بالفتاة التي طالما احببتها منذ اللحظة الأولى التي التقيتها، ولكن... لن اسامحه على ذلك ابداً.» واستعد للرحيل، لكنه توقف مرة اخرى. متابعا: «لقد حذرتك، يا ليديا، بالأ تثقي به. أما الآن، فقد فات الأوان.»

الفصل العاشر

شاركت ليديا مارتينا بجمع محتوى مشغلها بمساعدة ليليان التي تملك الخبرة والمهارة. واستغرق ذلك عدة ساعات لأن مشغلها حيث تنفذ تصاميمها يكون عادة فريسة الفوضى. لذلك، كانت من الصعب وضع التصاميم وغيرها من الأدوات في علب لتنتقل إلى المشغل الجديد في المنزل.

وصلوا إلى الطابق السفلي من المنزل، وأخذوا يفكون الرزم ويضعون الأشياء في الأماكن التي قالتها لهم مارتينا.

فهي لا تحتمل أبداً أن يخالف أحد أوامرها. أطل رايموند من الباب واستمع إلى نبرتها الحازمة، أطلق على شقيقته لقب المراقبة القاسية... كما قال... وطلب منها أن تتذكر بأن مساعدتها هم في الحقيقة قد تطوعوا لذلك، وبأنه لم يدفع لأي منهم أي راتب. انتهى العمل فعادت مارتينا إلى الواقع وشكرت مساعدتها.

قالت ليليان: «إنها تقوم بعملها ليس إلا». قالت ليديا: «إنني اعتبر أن ذلك العمل قليل الأهمية». إذ إن مارتينا كانت كريمة جداً معها وأعطتها بعض الثياب التي صممتها من دون أي مقابل. أخرجت ليديا التصاميم من العلب باستثناء تصميمها واحداً بقي مغلفاً. أزاحت بعضاً من الورق الذي

يغلفه، فرأت قطعة من الساتان الأبيض والشرائط. سألت ليديا مارتينا: «ما هذا الشيء الرائع هنا؟ إنه يلمع. هل هذا سر أم...»

«كلا، أرجوك لا تفتحيه، يجب أن يبقى مخبأً بالورق. فإنا لن أبوح لك بالسِر بالرغم من أنك صديقتي. والآن، أخبريني، هل استقرت في غرفتك؟ هل تريدني أي مساعدة؟ لا؟ إذن تعالي معي لتشاهدي جناحي أبي ورالف بما أنه سبق ورأيت جناحي.»

مشيت ليديا وصعدت السلالم حتى وصلت إلى الطابق الأرضي، ثم صعدت إلى الطابق الأول. كان جناح ماكس فلدور واسعاً ومريحاً.

قالت مارتينا وهي تفتح الباب: «وها هو جناح شقيقي رالف». كانت قاعة الجلوس فاتحة اللون، كما أنها فرشت بالأثاث من دون تصنع أو لمسات غريبة.

قالت مارتينا: «إن الأريكة مصنوعة من الستيل الحديث، والدهونات هي بقع من الألوان بالإضافة إلى أشياء أخرى». ثم أضافت وهي ترفع كتفها: «هذا أثاث جميل، حسناً، ولكن يمكن أن تضاف إليه بعض اللمسات لتلطيف منظره. إنه ذوق رالف، وهو عملي جداً بالنسبة لي، ويكاد يكون صارماً. ربما تنقصه لمسة نسائية، ألا تظنين ذلك؟ أنا لا أعني بذلك لمسات صديقتك لورا. والأمر نفسه ينطبق على غرفة النوم فهي ذو لون واحد، أعني اللون الكريمي ينقص رالف بعض الخيال.»

لفتت المشاهد المتراثة في الغرفة نظر ليديا، فقد كانت مشابهة لتلك التي شاهدها من نافذة غرفتها، ولكن

البحيرة هنا بدت وكأنها تلمع أكثر، والجبال اصبحت أكثر كبرا وشموخا.

رن الجرس في غرفة الجلوس، فأجابت مارتينا: «مرحبا، يا رايموند.» واستمعت: «هل هو هنا؟ إذن، من الأفضل ان نغادر الغرفة بسرعة. شكرا لأنك حذرتنا.»

قالت مارتينا: «تعالى، فقد قال رايموند بأن شقيقي رالف أت الى هنا، فهو قد رآه عند المدخل.» كانت ليديا في الردهة عندما التقت برالف، فهي لم تمشي بسرعة كافية.

قالت مارتينا بصوت عال: «مرحبا يا رالف.» كأنها تحاول تحذير ليديا، ولكن هذه الاخيرة لم تجد الوقت للخروج.

مشى رالف بخطوات واسعة وهو ينظر الى ليديا. وقال لها: «أبقي هنا.» ثم اضاف كلمة: «ارجوك.» قالت مارتينا: «وداعا يا ليديا، اعذريني، ولكنني ساذب بسرعة وأنا ممتنة لك إذ انك ساعدتني.» بدا مزاجه معكرا حتى ان ليديا تمنت لو انها هربت تماما مثل مارتينا.

قالت ليديا: «ماذا... ماذا تريد؟ لماذا تريدني ان ابقى؟»

«انت في أرضي، دخلت غرفتي بمحض إرادتك.»
«لا يجب عليك ان تنهرني هكذا، أليس كذلك؟»

لم يتأثر رالف بمحاولتها لترطيب الأجواء. قال: «انت ترزعجيني، ولا تدعي بأنك لا تعلمين عما أتكلم.» وخطا خطوتين فاقترب منها أكثر: «انا عنيد، أليس كذلك؟ وعديم

الشعور؟ وأنااني؟ لماذا تهزين برأسك؟ هل اتهمتني بذلك أم لا؟»

كان على ليديا ان تقول الحقيقة، فأجابت: «فعلت ذلك. ولكن يا رالف أنا...»

«فعلت ذلك. هذا كل ما اردت ان اعرفه.» وضع يده في جيبيه: «لقد قلت بأنني أنااني، وهذا احدث جرحا في نفسي. كان يجب علي ان اثبت العكس كي ابرىء نفسي على الأقل من هذه التهمة، فأحضرت لك هدية.» قال بلبرة امرأة: «هل قربت معصمك.»

«لماذا؟»

«لماذا؟ هناك شيء اردت وضعه حوله.» وأخرج علبة مستطيلة الشكل في جيبيه. ولعت الساعة الذهبية التي رفعها عن القماشنة الحريرية الداكنة تحت أشعة شمس بعد الظهر.

لم تستطع ليديا إخفاء دهشتها. «ولكن لماذا؟»
«لم لا؟ انت.. امرأة رائعة الجمال.»

«كلا، لست كذلك...» هزت ليديا رأسها مؤكدة ذلك ثم أنبت نفسها لأنها تصرفت على ذلك النحو.

«هل تريدني ان اقول لك ذلك بطريقة رومنطيقية؟» أمسك معصمها ووضع الساعة في مكانها.

رأت ليديا الماسات التي ثبتت في الواجهة الكهرمانية، وكان كل منها يحدد مرور ربع ساعة. قرأت ليديا الاسم، وكانت تعلم بأنه اسم ماركة ساعات شهيرة.

قالت ليديا وهي تدفع شعرها الى الوراء: «لا بد وأنها كلفتك ثروة. انا لا استطيع قبولها يا رالف.»

نظر الى عينيها خلال بضع ثوان ولكنها اشاحت بوجهها لتهرب من نظراته. خلع رالف سترته ببطء، ثم رماها جانبا، دون ان ينقل نظره عنها.

امرها صوت في داخلها، أعيدتها إليه يجب الا تقبلي بها. ولكن الكلمات لم تسعفها: «انها رائعة الجمال يا رالف...»

«إذن، ضعي شكوكك جانبا واحتفظي بها. هل هذا يثبت بأن إحدى اتهاماتك، على الأقل هو خطأ؟» ثم غدا صوته أكثر نعومة: «ليديا... هل تعلمين؟ لقد فكرت بك طوال فترة اقامتي خارج المدينة.»

أدارت رأسها لتتنظر إليه ثم سألته: «كيف يمكنك قول ذلك، وأنا اعلم بأن لورا مارشان كانت معك هناك؟»

ظهرت على وجه رالف علامات الغضب: «هلا تركت لورا مارشان وشأنها؟» ثم حاول منعها من الهرب.

قالت ليديا بصوت مخنوق: «رالف، انا لا أريد.»

قال رالف مؤنبا إياها: «لا تكذبي علي.»

«كلا، انا...» وأظهرت له بأنها لا تريد حبه ومودته من الآن وصاعدا.

رفع رأسه وضافت حدقتا عينيها، ثم حدق بوجهها مليا وسألها: «ما الخطب؟ هل تحاولين ان تقولي لي شيئا؟ مثلا، بأنني لست الشخص المناسب، ربما ان اسم عائلتي يناسبك ولكنه كان يجب ان يحل شقيقي الأصغر مكاني؟»

«لا تكن سخيفا يا رالف، إنه...»

«هل أصبحت سخيفا الآن، أه يجب علي إضافة ذلك

على لائحة الصفات السلبية التي تنعتيني بها. لن تنجحي في خداع أحد فأنا قد رأيتك على حقيقتك. عندما وصلت من دون علمك في تلك الامسية الى الفندق وسمعتك تعزفين البيانو، كنت تتظرين الى وجه رايموند كما لو كان حب حياتك.»

صرخت ليديا: «انت مخطيء، لقد كنت...» كيف لها ان تبوح له بالامر؟ لقد كنت اتخيل وجهك، فشقيقك يشبهك في بعض النواحي. وبسبب الحالة التي شعرت بها تنمو في داخلي، بدلت صورة وجهه بوجهك أنت وكنت اعزف لتلك الصورة. هل تبوح له بذلك؟ على كل حال، فهو لن يصدقها ابدا وبدا على وجهها التحدي.

قالت كأنها تتهمه: «انا اعلم السبب الذي قدمت لي هذه الساعة من أجله.»

«لقد قلت لك لم قدمتها لك.»

«أه، ولكنك لم تقل الحقيقة. كن أكثر صراحة معي، فأنت فعلت ذلك لتثبت لنفسك بأنك محق... كل ما تعتقده بالنسبة للنساء فممنذ ان تركتك تلك السيدة، بياتريس، لتتزوج رجلا فاحش الثراء... فالنساء بالنسبة لك، لا يطمعن سوى بالثروة وبالمكانة الاجتماعية الرفيعة، ولكنهن يطمعن بالثروة قبل كل شيء.»

قال رالف: «وماذا بعد؟» ولم يحاول الدفاع عن نفسه، فشعرت بدموعها ولكنها بكت بصمت.

«... فكرت بأن تمتحنني بشراء شيء يكلفك الكثير من المال، بسبب كل ذلك الذهب والماس. ثم تقدمه لي مدعيا بأنك تود اقناعي بكرمك وشفافية شخصيتك. وإن

قبلت ستصبح متأكداً تماماً بأن النساء هن منقبات عن الذهب وأنانيات جداً. حسناً...» تابعت ليديا وهي تتزع الساعة من معصمها لتعطيه إياها: «يمكنك إعادتها الى علبتها...» ابقت نظرها ورأسها مرفوعين: «شكراً لك لأنك فكرت بذلك. أمل ان اكون قد اثبت لك بأن هناك ، على الأقل امرأة واحدة في العالم لا تتخلى عن مبادئها. يمكنك الاحتفاظ بثروتك، ومكانتك الاجتماعية الرفيعة.» وصلت ليديا حتى الباب ثم استدارت: «تستطيع ان تحتفظ بكلماتك المعسولة للمرأة الحقيقية التي تحبها، تلك التي اصطحبتها الى فرانكفوررت.»

«ليديا..»

همست ليديا بصوت اجش: «انا أسفة يا رالف، أعلم انك لا تثق بي، وأنا ارفضك.» نظرت إليه نظرة خاطفة فلاحظت الغصة التي ظهرت في نظراته. وعادت الى غرفتها في الوقت المناسب، فهي لم تكن تستطيع اخفاء دموعها لثانية واحدة اكثر من ذلك.

* * *

«إذن، لقد قمت بالانتقال من الفندق الى منزل عائلة فلدر الكبير؟»

لمعت عينا ليديا إذ نظرت إليه وهي تبتسم، وكانت جالسة الى مكتب الغرفة الصغيرة التي خصصت للعمل. تابع ماكس: «وقد كانت رحلتك الى هنا اقصر من تلك التي وددت القيام بها للوصول الى ديارك، أليس كذلك؟»

دهشت ليديا لكلامه، فقالت: «كيف علمت، سيد فلدر، بأنني كنت افكر بالعودة الى ديارى؟»

«ان ابني رالف قد طلب مني ان احاول تبديل رأيك بعد ان فشل هو او اخوه او أخته في ذلك. فأنا كنت مستاء جداً لمجرد فكرة خسارة مساعدتي الماهرة. وأشعر بأنني لم اشكرك كفاية لكل ما فعلته. وأرجوك، لا تهربي من هنا، هلا بقيت؟ فهناك الكثير من الملاحظات المدونة وهي بحاجة الى مهارتك.»

نظر الى يدها ثم تحسس المفاتيح، قال ماكس بسرور ظاهر: «أه ما زلت تضعين الخاتم الذي اعطاك إياه ابني.»

«نعم. ولكن كل العائلة تعلم بحقيقة الأمر. فليس لهذا الخاتم أي معنى آخر. وليس هناك أي علاقة أخرى تربط بين رالف وبينني. نحن...» توقفت ليديا عن المتابعة إذ انها كانت على وشك البكاء، وأملت بالألا يطرح عليها ماكس مزيداً من الاسئلة.

مرت في عيني ماكس نظرة تعاطف عميقة، إذ رفع عينيه نحوها. كيف استطاع هذا الرجل الطيب القلب ان يعلم حقيقة مشاعرها؟ هل فضحتها تلك النظرة في عينيها؟

قال ماكس: «ان رالف هو رجل مشغول، لقد رحل ثانية. أمل بأن يعود غدا لكي يأتي الى الحفلة. هل ستأتين؟ أه، بالتأكيد فأنت ستحتفلين معنا إذ أنه أصبح لدينا منزل للمرة الأولى منذ سنين. هل أحببت المنزل؟»

«إنه رائع.»

«هل بإمكانك العيش فيه؟»

فكرت ليديا.. ان كان رالف معي، فيمكنني العيش هنا حتى آخر العمر. لكنها اجابت: «نعم.»

هز ماكس رأسه وأخذ حقيبة اخرج منها مغلفاً: «هناك المزيد من الملاحظات يا عزيزتي.» ثم وضعها على المكتب وتابع: «انا ممتن لك حقاً والآن يجب علي مراقبة التحضيرات. لقد قالت لي مارتينا بأنها سوف تفعل ذلك، ولكنها مشغولة جداً بمجموعة الثياب. لذلك اشك بأن يكون لديها الوقت الكافي للإشراف على العمال. ورايموند هو رايموند.» ابتسم ابتسامة محبة ورفع يده ثم خرج من الغرفة.

قالت مارتينا لليديا: «لم يعد رالف في صباح النهار التالي. ان بقي الطقس على حاله، فسوف تقام الحفلة على الشرفة، وإلا سنقيمها في المنزل.»

بقي الطقس على حاله، ومنذ شروق الشمس، عم النشاط الكبير في المنزل وخصوصاً في المطبخ. فقد حضر منسقو الزهور ليضعوا اللمسات الأخيرة على الزينة الباهرة. ثم جاء عمال الكهرباء فنصبوا اعمدة على طرفي الشرفة ووضعوا بينها بعض الحبال التي تدلت منها مصابيح متعددة الألوان. رأت ليديا مكبرات الصوت في كل من الزوايا. فتحت الابواب الزجاجية، وحملت الطاولات التي غطت بشراشف بيضاء الكثير من الطعام الذي بدأ شهياً كذلك، فقد كان هناك مرطبات عديدة ومتنوعة: «لا بد وان كل هذا قد كلف مبالغ طائلة.»

قالت مارتينا لـ ليديا عندما خرجت من مشغلها موردة الخدين ومنزعجة قليلاً. شرحت بأنها تود ان تفي بالوعد الذي قطعته على والدها والذي يتعلق بمراقبة التحضيرات. تابعت مارتينا: «ان أبي يستطيع تحمل النفقات، ولو لم يتمكن من ذلك، فسيكون شقيقي رالف مستعداً لمساعدته.» ثم بدت عليها علامات الحيرة، وكان ذلك غير اعتيادي بالنسبة لمارتينا لذلك، نظرت مارتينا اليها مندهشة: «ليديا؟»

اجابت ليديا: «نعم.»

«اني أود ان اطلب منك خدمة. هل توافقين؟»

«ان استطعت ذلك.»

«بإمكانك المساعدة، وأنا احتاج إليك في مشغلي لكي تقوم بقياس ثوب.»

تبعته ليديا مارتينا الى الأسفل وهي حائرة. وعندما فتحت مارتينا الباب، حبست ليديا انفاسها وتوقفت، ثم فتحت فاهها بسبب الدهشة والاعجاب ووجدت نفسها تحديق بالثوب الذي احتفظت مارتينا به بعيداً عن أعين الناس.

فتحت مارتينا يديها وقالت: «ها هي القطعة الأجل بين كل القطع التي سوف تعرض في الحفل. إنها قطعة رائعة.»

«إنه ثوب زفاف، يا مارتينا، وهذا مدهش.»

«نعم.. فهذا الثوب يثير الاعجاب والدهشة يا ليديا، إنها ردة الفعل المناسبة عند رؤيته. سوف أجعل اسمي يسطع في عالم الأزياء بواسطة هذا الثوب، وذلك في

موطني الأم. أما الخدمة التي اود ان تؤديها لي فهي يا ليديا، تكمن في قياس هذا الثوب. وذلك لأرى ان كان يحتاج الى بعض التعديلات..»

قالت ليديا وهي تنظر حولها: «ولكن... لقد اعتقدت بأنه كان لديك عارضتان للثياب..»

«فعلا، لدي عارضتان لقد وصلت أندريا ولكن هنرياتا لم تحضر بعد، كالعادة، لقد تأخرت. هل أسديت لي هذه الخدمة؟ ارجوك..»

«ألا تستطيع اندريا قياسه لك؟»

«ان مقاسها هو أكبر من مقاس هنرياتا بينما مقاسك هو تماما مثل مقاسها..»

«ولكن، يا مارتينا، أنا...»

«كنت اعلم ذلك. فأنت ستؤدين لي هذه الخدمة شكرا جزيلًا. والآن، ارجو ان تدخلني الى غرفة القياس تلك..»

هتفت ليديا بعد عشر دقائق: «مارتينا، هذا الثوب يناسبني كما لو إنه قد خيط خصيصا لي. إنه رائع، فأنا لم ارتدي ابدا زيا بهذه الروعة. فالشعور بالساتان رائع...»

وعجزت ليديا عن اكمال مديحتها.

ابتسمت مارتينا وهي ترتب الذيل الطويل، وجعلت ليديا تضع الاقراط الذهبية المزينة باللؤلؤ والماس. وقد كانت الطرحة تنزل من ذلك الغطاء كأنها شلال ابيض.

«ولم تستطع ليديا إخفاء شهقة الاعجاب. فقد كان هناك زهور قرمزية اللون طرزت على الظهر وامتدت حتى الوسط. رأت ليديا اوراق خضراء براقعة ووشاحا كبيرا من الساتان القرمزي اللون.

«ان هذا المنظر سيدهش الجمهور..»

قالت مارتينا: «سيدهش الحاضرين في حفلة الزفاف الحقيقية، خصوصا عندما سيقسم العروسان على الاخلاص واحدهما الى الآخر..» وانحنت لترفع حافة الثوب ولترتيب الذيل. ثم وقفت مجددا وتنهتد بارتياح. «شكرا جزيلًا يا ليديا. بإمكانك ان تصبحي عارضة ازياء جيدة. ربما كان عليك المحاولة..»

حان وقت توافد الزوار. مشت ليديا على الشرفة وهي ترتدي الثوب الأحمر الذي اهدتها إياه مارتينا ثم نظرت الى زرقة البحيرة تحتها ورأت المراكب التي ملأتها بالخطوط إذ أنها توزعت في عدة مناطق منها. وكان النسيم اللطيف يتلاعب بأشرعتها البيضاء.

فكرت ليديا بأنها لن تنسى ابدا هذا المكان، فهي ستتذكر دائما السعادة التي منحت لها. بالرغم من انها لن تدوم. لقد كانت حياتها في ذلك المنزل شبيهة بالحلم. ولكن لكل حلم نهاية محتمة، وفتشت عن سبب هاجسها الذي دفعها بالتفكير في النهاية. لكنها لم تجد الجواب.

قال رايموند: «هذا المنظر رائع، أليس كذلك؟» ثم اضاف: «تبدين رائعة الجمال. انا متأكد بأن هذا الثوب من تصميم شقيقتي..»

اجابت ليديا: «هذا صحيح يا رايموند. ولكنني لا أزال اشعر بالإحراج..»

اقتربت ليليان وهي تنظر بخجل الى رايموند: «لا داعي للقلق يا ليديا، فأنا أويد رايموند وأراك جذابة جدا..»

«حسناً، انت تبدين جذابة جداً كذلك يا ليليان.» ثم استند رايموند الى الدرايزين ونظر الى ليليان ثم قال: «هذا الثوب هو ايضا من تصميم مارتينا وأنا واثق من ذلك.»

هزت ليليان رأسها وهي تنظر الى الثوب ثم قالت وهي تبتسم: «ان شقيقتك تؤمن بفعالية عرض تصاميمها.» قال رايموند: «انا اعرف بأن مارتينا تعلم كيف تسوق تصاميمها. وكيف تجعل اسمها يلمع في مجال عرض الأزياء. ما هو دورك في هذه الأمسية؟»

لاحظت ليديا الاهتمام الذي أبداه رايموند بالفتاة. فمن الواضح انه لم يتأثر بكلام رالف في ما يخص العلاقة التي تربطه بليديا. شعرت بقنوط، واستدارت لتتأمل المنظر دون ان تراه، فتلك العلاقة لم يكن لها أي وجود، أليس كذلك. كما قالت منذ ايام قليلة، إذ كانت تود الانتقام من رالف، فإن علاقتها بدأت وانتهت في ليلة واحدة فرالف لم يظهر لها حبه. ولكن، ألم يحذرهما هو منذ البداية؟

«ما الذي يجعلك تعيسة الى هذا الحد؟» قال لها رالف الذي اقترب منها واتكأ على حاجز الشرفة. فرحت ليديا لأن رالف لن يستطيع ان يعلم مدى تسارع دقات قلبها.

تابع رالف: «هل الحاضر يقلقك؟ ام المستقبل؟ أم...» اضاف وهو ينظر الى وجهها: «الماضي؟» كيف علم رالف ما يخلج في داخلها؟ قالت وهي تحاول المزاح: «لا بد وأنت تقرأ الأفكار.»

قال رالف ببطء: «إذن، هنالك اشياء رهيبية في الماضي تؤثر عليك وتجلب التعاسة الى وجهك.» هزت ليديا رأسها، فهي لن تستطيع ابداً ان تبوح له بما يجول في خاطرها. همست: «توقف عن ذلك.» ضحك رالف ثم قال: «سوف أعبر لك لاحقاً عن حبي، أليس كذلك؟» «كلا.»

قطب حاجباه: «كلا؟ سوف نرى، أليس كذلك؟» «لست المرأة التي تحب.»

«أه، انت التي أحب يا ليديا، انت هي.» وعندما رأته يبتعد، عاد الشعور نفسه الى قلبها مجدداً، ولكنه كان أكثر قوة هذه المرة، فقد شعرت بأن الستار يغلق على تلك الفترة من حياتها، لكنها كانت ممثلة في مسرحية ذات نهاية تعيسة ومريرة.

الفصل الحادي عشر

توزع الضيوف على الشرفة والأراضي المنحدرة المؤدية إلى البحيرة. بينما آخرون يتوافدون. علت اصوات المحادثات أكثر فأكثر، كان رايموند قد ابتدأ بمصافحة الضيوف، تماما كآخيه وكان يتحدث معهم بلغتهم الأم. «مرحبا.» رنت نبرات صوت بلغة فهمتها جيدا، ثم اقتربت منها امرأة. «هل تشعرين بالوحدة؟ لقد أرسلني رالف لكي احادثك وأروح عنك.» ثم لمعت عينا لورا الثاقبتين بها. «ربما تشعرين بالبرد بسبب ثوبك. عفوا، ربما ان المزاج على هذا النحو ليس مناسباً. ان هذا الرداء يجعلك تبدين رائعة وثرية. كم ان المظهر الخارجي يمكن ان يكون مخادعا. هل هذا الثوب من تصميم مارتينا؟ لقد اعتقدت ذلك. ان تلك الفتاة ترفض تصميم ثوب واحد لي. وأنا اتساءل عن السبب.»

فكرت ليديا ان بإمكانها الإجابة على تساؤلات لورا، وبنفس الطريقة الخبيثة التي ظهرت في كلامها. اجابت ليديا وهي تهز رأسها ببرودة، وتجبل نظرها بين الجموع: «لا أعلم ما هو الجواب على سؤالك.»

سمعت صوت ماكس فلدري يرحب بها، فشعرت بالسعادة: «أه، ليديا سوف تكون الحفلة جيدة. أليس كذلك؟» ثم اضاف: «هل اخبرناك بأن العازفين سوف يأتون عما قريب؟»

«لقد قيل لي بأن الألعاب سوف تكون جزءاً من الحفلة.»

هز ماكس برأسه: «سوف يحدث ذلك في نهاية الحفل، وسوف يرقص الضيوف هنا على الشرفة. لم اكن على علم ان لدى عائلة فلدري هذا العدد من الاصدقاء والمعارف. بعضهم اصدقاء ومعارف ابني رالف والبعض الآخر اصدقاء رايموند ومارتينا. اما اصدقائي، فهم يُعدون مثلي من بين اعضاء مجموعة الطاعنين في السن.»

«لست طاعنا في السن يا سيد فلدري.»

انفجر ماكس ضاحكا وهو يرجع رأسه الى الوراء، مثل ابنه: «هل تعلمين أنه في بعض الاحيان، اشعر وكأنني اصغر بعشرين عاما مما أنا عليه؟ يجب على الآخرين ان يعرفوا هذا جيدا وألا يقطعوا علاقاتهم مع كبار السن كما لو لم يكن لدى هؤلاء عقول وتجارب في الحياة ومشاعر فنية... فهم يعاملوننا كما لو كنا طاعنين في السن. ولكن... شكرا على إطرانك.»

نظر ماكس بعدها الى لورا وهو يقطب حاجبيه إذ رآها قد انتقلت لتقف الى جانب رالف. قال ماكس: «اتمنى لو كان ابني يتمتع بقدرة افضل على التمييز، خصوصا في ما يتعلق بالنساء.» ثم أدار رأسه نحو ليديا: «اتمنى لو لم تكن العلاقات قائمة بين رالف وهذه السيدة، ولو كانت بدلا من ذلك بين رالف و...» ثم تنهد ماكس من دون ان يكمل جملته.

استدعى ماكس فنظر حوله ولكنه لم يرغب بترك ليديا بمفردها، ثم استدار إذ سمع نداءً آخر وابتسم عندما رأى ابنته تحاول شق طريقها لتصل الى ليديا.

برقت عينا مارتينا: «هل تعلمين؟ أوتو هنا، لقد وفي

بوعده. احزري ما الأمر! يقول بأنه من الممكن ان يعزف لنا». وكان البيانو قد نقل الى الشرفة.

«لقد قلت له بأن يرسل الفاتورة المتوجبة عليّ مقابل عزفه، ولكنني اعلمته بأنني لن اتمكن من تسديدها قبل عدة أشهر، فغضب وأكد بأنه لن يأخذ مني فلساً واحداً. فهو سيعزف...» وهنا خفضت مارتينا صوتها بينما ازداد بريق عينيها: «من اجل صديقة مميزة.»

هتفت ليديا: «أه، مارتينا. هذا يعني بأنه أعجب بك.» ثم نظرت الى البعيد: «يمكنني ان أراه من هنا. إنه يراقبك وهو لا يتكلم مع أي شخص آخر. اذهبي يا مارتينا.»

قالت صديقتها وهي ترفع كتفيها: «كلا. سوف أعب لعبتي.» وانفجرت ضاحكة: «يا ليديا، إنه في غاية الوسامة، وهو شهير وموهوب. فكيف يمكن لامرأة ان تجعله يبقى معها طويلاً؟» ثم تابعت من دون ان تنتظر جواباً: «سيجري عرض التصاميم والأزياء عند نهاية السهرة وقبل ان تضاء الألعاب النارية. أراك لاحقاً.»

بدأت ليديا تمتزج بالجموع وكانت تتمنى لو انها تحسن تكلم اللغة المحكية التي تسمعها. لاحظت ليديا نظرة رالف، فانقبض قلبها وتمنت لو أنه ينفصل عن اصدقائه ويأتي لملاقاتها. لكنها كانت متأكدة من ان أملاها سوف يخيب. رأت رالف ينادي شقيقه ويشير الى ناحيتها. هز رايموند رأسه وشق طريقه باتجاهها.

قال رايموند واصفاً حالها: «انت ضائعة بين الجموع. وهذا سيء كفاية، ولكن ما يجعل الحال اسوأ هو ان هذه الجموع تتجاذب اطراف الحديث بلغة لا تفهمين

منها كلمة واحدة... كأنك قد جئت من كوكب آخر. ليس كذلك؟»

اجابت ليديا وهي تبتسم: «نعم! ما كان عليك الافتراق عن ليليان.»

«لا بأس.» كان يجب عليها الذهاب لتساعد بماكياج العارضة.

قال رايموند: «الآن تعالي معي. فأنا اعلم أين يوجد الطعام الممتاز.» كانت الشمس قد بدأت بالمغيب ولكن الجو بقي دافئاً. وبدت الشرفة اكثر جمالاً بسبب الألوان التي وزعتها الشمس الغاربة حولها.

قاد رايموند ليديا الى الطاولة المغطاة بالشراشف البيضاء الناصعة، وكانت كل الطاولة تنوء تحت ثقل الاطباق الشهية التي وضعت عليها بعد ان نظرت ليديا الى تلك الاطباق المتنوعة والمسيلة للعاب، علمت فعلاً كم هي جائعة.

بعد ان تذوق الاثنان الطعام، انتقل رايموند الى طاولة اخرى وحث ليديا على ان تتبعه.

قال لرفيقتة وهو يناولها شوكة وقطعة من اللحم المطهون: «هاك، جربي هذه الفونديه.» وهو يشير الى إناء يحتوي على الفونديه.

«اغمسي قطعة اللحم هنا، ثم تذوقي طعمها الطيب.» فعلت ليديا كما قال لها رايموند، فأخذت تهمهم بسبب لذة مذاق الطبق ورفعت عينيها نحو السقف، فانفجر رايموند ضاحكاً.

«اكملني طعامك. فهذا الطعام لذيذ ولا يمكنك التوقف عن

تذوقه. أه، لقد نسيت ان اخبرك بذلك، ولكن يجب عليك ان تكوني حذرة جدا. فالتقليد يقول بأنك ان اضعت اللقمة في الفونديه، سيكون عليك دفع غرامة.»
استغربت ليديا الأمر وقطعت على نفسها عهداً بأن تكون حذرة.

شرح رايموند: «هناك توجد فونديه بورغينيون. انها جبنة ذاتبة، كنتك التي تذوقتها لتوك، كذلك فهي تحتوي على البصل ومرة الاعشاب والبندورة هناك أيضا العديد من الأطايب هنا، بالإضافة الى التحليات والمرطبات التي يجب عليك تذوقها. هل تحبين الشوكولا؟ هنا، يوجد بعض الشوكولا الذائب.» اخذ رايموند شوكة ليديا ثم امسك بواسطتها قطعة من التفاح: «والآن يمكنك غمسها.» فعلت ليديا كما قال رايموند لها، ثم رفعت الشوكة بحذر من الشوكولا المذوية، ولكن قطعة التفاح وقعت مجددا بداخلها، فنظرت ليديا الى رايموند وقد بدا عليها الاندهاش.

صرخ رايموند: «لقد فعلت ذلك.» وهو يضرب الهواء: «لقد اقللت القطعة. والآن يجب عليك دفع الغرامة.» وضع رايموند شوكة ليديا وشوكته جانبا ثم أمسك بكتفيها: «سوف تدفعين غرامة يا ليديا. ولا يمكنك ان تتهربي من الأمر ابدأ.» ولكن قبضة قوية حررت ليديا من رايموند فوجدت نفسها بمواجهة شخص قوي.

زمر صوت رجل: «سوف تدفع الغرامة لي.» شعرت ليديا بضعف في رجليها وبألم في منطقة الرتتين، ولم تأبه بما يمكن ان يقوله الضيوف تعليقا على ما

فعله رالف، فهي كانت لا ترى احداً سواه أمامها. عندما حررها رالف، علا تصفيق الحاضرين وربت العديد من اصدقائه على كتفه. ما لبث رالف ان انتهى عنها وتركت ليديا وحيدة، فأخذت تراقب وجه الرجل الذي أصبح يعني الكثير لها. اكثر من أي رجل في العالم.

بقي رايموند الى جانبها لبعض الوقت ولعب دور المترجم إذ أن العديد من الاشخاص كانوا يتكلمون معها باللغة الالمانية او الايطالية احيانا، او الفرنسية التي كانت تستطيع فهمها.

تحولت الموسيقى التي تعالت من الآلات الى النوع الرومنطقي، فأخذت الأزواج تتدفق في وسط الشرفة التي كانت خالية لهذا الغرض.

وجدت ليديا نفسها تراقص ماكس: «يبدو انك تستمتعين بوقتك هنا.»

«شكراً لك يا سيد فلدر.»

«حسنا، لقد سمعت بأنك تعزفين على البيانو.»

اعترفت ليديا وهي تضحك: «لست بارعة جدا بذلك.»

«ولكن ذلك يعني بأنك تحبين الموسيقى. هذا جيد. فنحن السويسريون مغرمون بها، والحفلات الموسيقية هي جزء من حياتنا. هناك بعض الموسيقيين الذين سيأتون الى هذه الأمسية ليعرّفوا لنا. أه، لقد رأيت أحد معارفي هناك. هلا حلت مكاني يا رالف؟» ثم ابتسم ماكس وقال إذ ترك ليديا بعهدة رالف: «انا متأكد من انك لا تحتاج الى أي كان ليقنعك بذلك.»

أبعدت ليديا يدها عن رالف: «لا داعي لترقص معي يا سيد فلدر.» ثم نظرت إليه نظر تحد: «لا بد وأن هناك نساء غيري تفضلهن علي...»

«سيد فلدر! ها أنا مجدداً يا أنسة هايلي، وسوف اجعلك تخضعين لي.»

«سيد فلدر...» نادته خادمة بالالمانية وهي تبتسم ابتسامة اعتذار. عندها تركز اهتمامه على نقطة معينة في الغرفة.

كانت لورا تحاول لفت انتباهه بينما شفتاها تتحركان وهما تبعثان إليه برسالة بلغته الأم. فهم رالف ما قالته لورا رغم بعد المسافة وأسرع نحوها. فعلمت ليديا بأن لورا كانت أهم منها بكثير بالنسبة لرالف. فهذه المرأة تتمتع بتأثير قوي على أفكاره وتحركاته.

اعذريني يا ليديا، يجب علي الذهاب الآن. سأراك لاحقاً.»

صرخت له ليديا بمرارة: «لا تزعج نفسك، فضيفتك جاهزة، لتلبية طلباتك، أليس كذلك؟» ولكن كلماتها ضاعت في الجو إذ ان الضجيج كان يصم الأذان.

احضر المزيد من الطعام الى الشرفة فاغتنمت ليديا الفرصة لتنسحب الى الغرفة المخصصة للاستراحة. بعد عودتها، لاحظت بأن الموسيقى المتصاعدة من الآلات كانت قد توقفت. اما اوتوكوفمان، فقد جلس قبالة البيانو.

خيم السكون وبدت السعادة على وجوه المستمعين الذين كانوا يستمعون الى النوتات الخارجة من بين

اصابع العازف. عزف اوتو مقاطع قصيرة وكانت كلها كلاسيكية ومناسبة جدا للحفل.

كانت مارتينا نصف مختبئة في زاوية. نظرت ليديا ملياً الى التي كانت تقف ويدها مشبكتان، بينما لمعت عيناها ببريق الحب. وكانت ليديا على يقين بأن صوت التصفيق سوف يصل الى اذان الناس المتواجدين على متن السفن في البحيرة، إذ أن الناس المتواجدين على متن السفن في البحيرة، إذ أنه كان عالياً، ليعبر عن مدى اعجاب المستمعين بالعازف. وقف اوتو وانحنى وقد ركز نظراته الباسمة على مارتينا التي خرجت من الزاوية ورفعت يديها مصفقة... انحنى اوتو انحناء خاصة في اتجاهها ثم غادر. وتبدلت اجواء السهرة للمرة الثانية. كانت مجموعة من الموسيقيين تستعد للجلوس حول البيانو. وكانوا يشعرون في الزي الوطني السويسري الذي يتألف من بنطال أسود وسترات سوداء وكانت مزينة بأزرار لامعة حمراء.

تعالَت ألحان جميلة ومفرحة من آلات العازفين فصفت الأيدي. بدأ المغني بيودل اغنيته، فتعالَت اصداؤها في مختلف ارجاء البيت، وفوق المروج حتى بدت كأنها تصل الى الجبال العالية. وكانت نغمات الأكورديون التي رافقت الاغنية تظهر المواهب الكامنة في حنجرة المغني.

رافق عازف البيانو الآلات الأخرى، ثم عزف عزفاً منفرداً لفترة وجيزة، فتعالَت أصوات القطع الموسيقية التي عزفت واحدة تلو الأخرى. وكانت خفيفة تبعث الانشراح

والبهجة في القلوب. كذلك، فقد كان المغني والموسيقيون الآخرون يرافقونها من وقت الى آخر.

وقفت تستمع الى المعزوفات. ثم سمعت أحدهم يناديها، فاستدارت ورأت مارتينا تشير إليها وهي تقوم بعدة حركات لتلفت نظرها. شقت ليديا طريقها بين الجموع ووجدت نفسها مدفوعة نحو مدخل جانبي.

همست مارتينا بصوت مرتعش: «ساعديني، أرجوك ساعديني. ان عارضة الازياء التي كانت سترتدي ثوب الزفاف قد تعرضت لحادث سيارة إذ كانت في طريقها الى هنا. ان حالتها ليست خطيرة. ولكنها لن تتمكن من الحضور». تابعت مارتينا بينما كانت في عينيها نظرة رجاء: «أعلم ان الثوب يلائم مقاسك، هل فعلت ذلك من أجلي..؟ أه، قولي بآئك توافقين.»

هتفت ليديا وقد اتسعت حدقتا عينيها: «هل تعزين حقاً ثوب الزفاف؟... مارتينا، لا اعلم كيف...» وفتحت يديها لتعبر عن حالتها وحيرتها ثم أكملت: «هل يجب عليّ حقاً فعل ذلك من أجلك؟»

«وهل باستطاعتي طلب ذلك من شخص آخر؟ لقد سبق وارتديت الثوب، أرجوك، أرجوك. افعلي ذلك لأجلي، يا ليديا ولأجل مستقبلي المهني.»

«أه، ولكن...»

«لقد علمت بآئك ستوافقين. أه، شكراً لك. ولكن يجب ان تأتي الآن. فهم يجهبزون الممرات ويضعون تصاميمي على الرفوف وينظمون الاضواء. وكما تعلمين، سيستغرق ارتداء ثوب الزفاف الكثير من الوقت ستبدأ العارضات

الأخريات العرض وسوف تدخل كل منهن بدورها ثم تخرج وبينما تفعلن ذلك، سوف أكلّم الحضور وأعرفهم على تصاميمي والخدمات التي أقدمها.»

بعد عشرين دقيقة، كانت ليليان ترتب طيات ثوب الزفاف المصنوع من القماش الساتاني العاجي اللون. ساعدت ليديا على وضع الماكياج ووضعت الطرحة مكانها ثم تفحصت الثوب وتنهدت تنهيدة ارتياح.

علا صوت مارتينا على الشرفة، وبعد ان اصبحت جاهزة، وقفت ليديا وقد اغمضت عينيها وشعرت بارتجاف يتملك حواسها. ثم قالت لليليان بأنها تكره ان تدخل مارتينا، وبأنها لم تكن بهذه العصبية في حياتها. ثم توسلت إليها ان تخبرها عما يجب عليها أن تفعله بيديها.

قالت مارتينا وهي تستدير بينما توردت وجنتاها: «امسكي هذه الباقة، لقد صممت خصيصاً لكي تحملها العارضة التي سوف ترتدي ثوب الزفاف. والآن...»

نظرت مارتينا الى ليديا ثم صفقت بيديها من دون ان تحدث أي ضجيج: «هذا رائع. كل ما عليك القيام به هو السير ببطء على طول الممر، تتوقفين قليلاً، ثم تستديرين من حين لآخر... ولكن لا يجب ان تستديري دورة كاملة، لأن ذلك سيؤدي الى الاخلال بشكل الذيل... هكذا سوف يرى الحاضرون كل جوانب الفستان ثم يجب عليك ان تتقدمي الى نهاية الممر المؤدي الى المسرح وأن تقفي هناك.»

«مارتينا...» نادى ليديا بصوت يشوبه القلق، ولكن صديققتها همست: «لا تخافي، سوف أكون الى جانبك.»

بدت مارتينا قلقة ومنشغلة البال، وأعصابها متوترة بشكل رهيب فعلمت ليديا كم كان عرض هذا الثوب مهما بالنسبة الى صديقتها، فكل شهرتها كمصممة كانت تعتمد على الثوب الرائع الذي ترتديه الآن.

صممت ليديا على ان تفعل كل ما بوسعها من اجل صديقتها. فتوجهت نحو الستارة التي كانت تخبيء مدخل الممر.

اعطت مارتينا إشارة فتح الستارة وهمست: «الآن، هيا.» دخلت ليديا وسط انوار خافتة تحيط بها وعلى تمتات اعجاب في الصالة، تبعثها جولة تصفيق مطولة.

حاولت ليديا جاهدة ان تفعل تماما كما قالت لها صديقتها. فكانت تستدير قليلا كلما خطت بضع خطوات. علت هتافات الاعجاب مجددا، اذ انتبه الحضور لوجود التطريز الجميل على ظهر الثوب، ثم انفجر الجميع تصفيقا وكان الصوت اقوى منه في المرة الاولى.

رأت ليديا رايموند يبتسم وذلك من خلال حاجز الطرحة، ورفع يديه ليشجعها ويعبر بصمت عن إعجابه. كان وجه ماكس يسطع بنور الاعجاب.

لمحت ليديا رالف، وهي تستدير قليلا. كان يقف مرفوع الرأس. وقد ضاقت عيناه بينما وضع يديه في جيبي سترته. لكنه لم يكن بمفرده. فقد وقفت الى جانبه لورا مارشان، تحديق بثوب الزفاف الذي صممته مارتينا. هل كانت تفكر بأنها سوف تطلب من مصممة الثوب ان تصنع ثوبا مماثلا لأجلها عندما سيطلب رالف منها ان تقبل به زوجها.

رفعت لورا عينيها وحدقت بدهشة بالعارضة التي كانت ترتدي الثوب، كما لاحظت ليديا. وقد أحست بالألم يعتمر احشائها لأن لورا قد وضعت ذراعها على ذراع رالف،

ارتفع صوت مارتينا مرعدة كلمات جذبت انتباه الحضور، وتخلل صوتها نبرات تدل على الاضطراب الخفيف وعدم الثقة بالنفس. ثم تكلمت متوجهة الى الحضور بلغتها الأم بعد ذلك، اتسعت عيون جميع الحاضرين وتركزت على وجه ليديا.

فكرت ليديا وقد بدأت تتعثر قليلا، ماذا الذي تقوله مارتينا ليجعلهم يحدقون بها بهذه الطريقة؟ وبحثت عينها عن عيني رالف. كانت تتوقع ان ترى فيهما علامات التقدير التي قرأتها في ايتسامات ماكس وحركات رايموند، لكنه بدا غاضبا وبأردا.

تذكرت ليديا كلمات مارتينا: يجب عليك التوقف عند نهاية الممر.

كانت مارتينا قد اوصتها. شعرت ليديا بباقة الزهور العطرة ترتجف في يدها الرطبة. كان رالف ينظر إليها وكأنه سوف يقفز الى جانبها ليخنقها بكليتي يديه.

علا التصفيق القوي في الجو، كأنه يتراقص مع النسومات، وقد غطى أصوات ألحان عازف الأكورديون إذ كان يؤدي معزوفة الزفاف التقليدية.

ان ذلك يتناسب فعلا مع المناسبة، فكرت ليديا وهي تشعر بالتعب، ولكن رالف كان يتحرك ويتقدم نحوها، ثم قفز الى المسرح وأمسك معصمها بقبضته.

تعالت اصوات الموسيقى والتصفيق، واغتنم رالف هذه الفرصة ليقول وهو يصر على اسنانه: «لا تقفي هناك كما لو كنت لا تعلمين ما الذي يحصل. مارتينا تقول للحضور بأننا سوف نتزوج، لقد اتفقت مع شقيقتي على ذلك. لا تنكري الأمر. وإنما طريقتك الخاصة لتتأكد من ان وضعك في عائلة فلدرا آمن وبأنك سوف تتمكنين من البقاء هنا.»

لم تستطع ليديا تصديق ما سمعته أذناها، فحدقت بوجه رالف الذي تحول الى قناع بارد، ولم يلفه حتى جمال الطرحة. حاولت ليديا جاهدة ان تحرر نفسها من ذراعها التي التفت حول وسطها.

قالت ليديا: «لا افهمك يا رالف، ليس لكلامك أي معنى وكذلك الأمر بالنسبة لمارتينا، فأنا اعرض هذا الثوب لأؤدي لها خدمة.»

«أه، نعم.» ودل صوت رالف على أنه لا يصدقها مما جعل قلبها ينبض. تابع رالف: «لست مختلفة عن باقي النساء. فأنت تصطادين المال والمكانة الاجتماعية الرفيعة في الحياة.» ثم استدار نحو الحضور ورفع ذراعها عالياً.

قال رالف بالألمانية ثم بالانكليزية: «اسمحو لي ان اقدم لكم زوجة المستقبل، ليديا هايلي.»

علت هتافات التشجيع وكان ضجيج التصفيق يصم الأذان.

وقفت مارتينا تحت خشبة المسرح، الى جانب شقيقتها، بابتسامتها المشرقة وعيناها المشعقتان. كان يداها

مشبكتين فوق رأسها كما لو انها فازت بعد مباراة منهكة.

في تلك اللحظة، انطلقت الاسهم النارية وأضاعت السماء، فاستدار الحضور للتحديق بها، وامتلأ الجو بأصوات وروائح الدخان. ثم أنيرت اشكال مختلفة في الفضاء مظلة وراها ألوانا ذهبية، فضية، قرمزية وليلكية.

هتف الحاضرون بصوت مرتفع وارتفع اصوات التصفيق، بينما كانوا ينظرون الى العرض الرائع.

هذه هي الالعاب النارية الموعودة، لكنها تستعمل الآن للاحتفال باعلان زواج رالف، ذلك الشاب الموهوب الوسيم وابن ماكس فلدرا البكر المحترم الى فتاة غير معروفة وأجنبية. تلك الفتاة تدعى ليديا هايلي.

اغمضت ليديا عينيها، لا، لمعت الاضواء ثم اختلطت الألوان وانطلقت الأسهم، وأخذت تبتعد في الفضاء.

اتضح كل شيء بالنسبة لليديا، فكل الأمر كان مجرد لعبة قامت بها مارتينا. وقد اعتقد رالف بأنها هي ليديا هايلي، كانت قد اتفقت مع شقيقته.

لقد قاست الثوب كما طلبت منها مارتينا، أليس كذلك؟ وما هي الآن تقوم بعرضه. ثم رنت في أذني ليديا كلمات مارتينا عندما رافقتها لتفحص المنزل قبل ان ينتقل الجميع إليه...

حيث قالت: لورا سوف أخرجها من حياة رالف وذلك بطريقة ما. وأعتقد بأنني وجدت الطريقة المناسبة. انتهى يا لورا مارشان، انا مارتينا فلدرا. مصممة الثياب الشهيرة في عالم الأزياء في سويسرا، ان الأنسة

مارشان لن تصبح ابداً زوجة رالف فلدر، فأنا لن اوافق على أمر كهذا.

توسلت ليديا إليه: «ارجوك يا رالف، يجب ان تصدقني. لم أكن على علم بأي شيء..»

لم يكن رالف، الذي حُبا وجهه في الظل، يستمع إليها. فهو قد وضع الباقة جانبا ورفع الطرحة ثم أعادها الى الورا، وضم العروس.

اخيرا، رفع رالف رأسه ونيران الغضب تتأجج في نظراته. أدركت ليديا انها وحدها هي التي كانت قادرة على رؤيتها بوضوح.

قال رالف بصوت خشن: «هل انت مسرورة الآن؟ سوف تصبحين عما قريب زوجة رجل أعمال ثري ومحترم. هل تحققت كل امنياتك؟»

انتهى الاحتفال وغادر الضيوف المنزل. فجلست ليديا على كرسي قليل الارتفاع في غرفتها ونظرت الى يدها

تلك التي صافحت العديد من الضيوف، اذ وقفت الى جانب رالف وهي ما تزال ترتدي ثوب الزفاف. ولم تستطع ان تنسى تلك النظرة القائلة التي حدجتها بها لورا عندما اقتربت منها ومن رالف هاتفة به بصوت

اجش وقد اصطنعت بعض الدموع: «كيف استطعت ان تفعل ذلك؟ لقد جعلتني اعتقد بأنني انا التي...»

سمعت ليديا تنهيدة مخنوقة ثم اكملت: «ان كنت تعتقد بأن علاقات العمل سوف تستمر بعد ذلك، فمن المؤكد ان أمالك ستخيّب.» ورمت ليديا بنظرة حاسدة وابتعدت. هزت ليديا رأسها كأنها تحاول ان تمحو ذكري هذا

الحادث من ذاكرتها، ثم تذكرت كلمات والده عندما قال: «انا سعيد جدا لأن ابني قد استعاد رشده، وقد شعرت بالسعادة العارمة عندما سمعت رالف يعلن خبر زواجه القريب منك. اهلا بك، يا عزيزتي ليديا في عائلة فلدر فالعائلة ستكون الراححة بسبب وجودك بين أفرادها.

حاولت ليديا ان تخبر ماكس بأن الأمر كان مجرد لعبة، وبأن ابنته قد اختلقت هذه الحيلة لتبعد لورا عن حياة رالف. ولكن ماكس تركها وهو ما يزال يبتسم، ولم يستمع الى أي شيء سوى الى ما ورده من اخبار سارة سلبت له.

لم تحضر مارتينا الى غرفة القياس إذ كانت ليديا تخلع ثوب الزفاف كانت ليليان قد ساعدتها وبدا عليها الفرح كما الجميع، فكرت ليديا، ما عدا العروسين الذين كانا معنيين بالأمر.

لم يكلمها رالف كلمة واحدة، مع أنه بقي الى جانبها حتى غادر الضيوف بعد حفل الالعاب النارية. وخرجت ببطء بعد ان قالت: «ارجو معذرتي إذ يجب ان ابدل ثيابي.» ومشت مرفوعة الرأس الى المنزل، بينما رمقها رالف بنظرة حادة وهو يرفع ذيل الفستان.

كان رايموند قد سألها وهو يبتسم ابتسامة خفيفة: «هل تودين تحطيم وجه شقيقي؟ ام هل تودين ان اتولى بنفسي هذه المهمة؟ اتمنى ان تتمكني من اقناع شقيقي بأمر براءتك.» ولعت في عينيه ومضات سوداء اثرت في نفس ليديا. كان رايموند قد رافقها الى المشغل

حين أضاف: «انت تعلمين كيفية تأقلمه وفقاً لمشييتك. فلكل الرجال نقاط ضعف، والأمر صحيح حتى بالنسبة لأخي. لقد اكتشفت الطريقة المثلى لتؤثري عليه دون ان يؤذيك ابداً.»

دق الباب بقوة ثم دخل رالف ولم يكن مضطرباً بالرغم انه دخل دون ان تسمح له بذلك. قال: «إذا، سوف تصبحين زوجتي.» ثم اغلق رالف الباب بكتفه ومشى، ويده في جيبي الجينز، حتى قطع المسافة التي تفصله عن ليديا: «حسناً، حسناً. لقد فاجأني الخبر كثيراً، فشعرت بأن علي المجيء، لأتفحص المرأة التي سأمضي الي جانبها بقية عمري.»

مشى رالف بخطوات بطيئة وتوقف بالقرب من ليديا بعد ان دار حول الكرسي القليل الارتفاع: «من المستحسن ان تشكل زوجة المستقبل مصدر سعادة بالنسبة لي، أليس كذلك؟»

ارتجفت ليديا اذ سمعت تلك الكلمات التي تلفظ بها رالف بنبرة باردة، ثم قالت: «أه، لا يا رالف، لن يستخدمني أي رجل كان بهذه الطريقة.»

اقترب رالف خطوة واحدة منها: «لا؟ حاولي فقط ان ترفضي منحي حقوقي.»

«ليس لديك أي حقوق، لقد قلت لك ذلك من قبل.» ارتفع صوتها وتسبب لها ذلك بالإزعاج اذ ان الخوف الذي كان ينمو داخلها قد فضح ولم تستطع اخفاء خوفها عندما فكرت بفرص نجاتها من براثن رالف.

قال رالف: «فأنت بالاتفاق مع شقيقتي، قد أعلنت للجميع

بأنك زوجتي. وكنت كل الوقت على علم وكذلك مارتينا، بأن الخطوية المزيفة هي عبارة عن ارتباط لن يتم الاعلان عنه. فأنت قد خالفت شروط هذا الاتفاق. لذلك، ليس هناك أي رادع يمنعني الآن من خرقها كذلك. صرخت ليديا: «أنت تتكلم عن اظهار حبك لي. ولكن ليس لديك ذرة من الحب في نفسك، ما عدا حب الذات. لا عجب ان كانت تلك السيدة المدعوة بياترس قد هجرتك والتجأت الى رجل آخر، فلا بد انها قد اكتشفت هذه الحقيقة عنك وعلمت كم انت بارد وقاس. أه، لا يمكن ان يجد المرء اية ذرة دفء او شعور او حب في قلبك.»

كانت وجنتاها تحترقان بسبب الغضب الذي تأجج في داخلها، ثم نظرت إليه نظرة تحد وعيناها تلمعان. وغدا وجهها قناعاً ثم خلت نظرتة من التعابير.

«يا رالف، اسأل مارتينا عن تلك الأمسية. اقسم بأنني لم اكن على علم بما تنوي فعله.» قالت ليديا ذلك إذ كان رالف يتوجه نحو الباب.

«ألم تكوني على علم بشيء؟ ألم يكن لديك أي فكرة ولا حتى شكوك بالنسبة لما تنوي فعله؟»

عادت كلمات مارتينا ترن في ذاكرة ليديا: «سوف اخرج لورا من حياة رالف، وذلك بطريقة ما. وقد وجدت الطريقة المناسبة... ولكن لم يكن قد خطر على بال ليديا بأن مارتينا تنوي فعل ذلك برالف، ولم تلمس هذه الفكرة مخيلتها حتى بعدما اقنعتها مارتينا بقياس فستان الزفاف. كم كانت غبية إذ انها لم تربط بين الحوادث.»

لكن رالف فسّر النور في عينيها وشعاع الحيرة بطريقة خاطئة. فهو قد ظن بأنها كانت على علم مسبق بما قررت مارتينا عمله. فاستدار رالف وتركها في وسط الغرفة.

الفصل الثاني عشر

سألت ليديا الفتاة الشابة التي جلست الى المكتب في المقهى: «لديكم مكان شاغر للعمل كنادلة؟» وتمنت ان تفهم هذه الأخيرة لغتها الانكليزية وفعلاً، فقد بدا لها بأن الفتاة قد فهمت ما قالتها.

«أنا أسفة، ولكننا وظفنا نادلة اخرى.»

استدارت ليديا وجلست الى احدى الطاوات الفارغة، وادعت بأنها تقرأ لائحة الطعام. ولم تكن حقا جائعة، بالرغم من ان النهار كان قد مر بسرعة وهي لم تأكل شيئاً طوال اليوم.

غادرت المنزل في الصباح الباكر عند بزوغ الشمس ولم يكن قد استيقظ بعد. حملت حقائبها التي ملأتها بأغراضها وتركت الفساتين التي اعطتها إياها مارتينا وهدايا رايموند الصغيرة، فقد تركت وراها كل ما يتعلق بالحساب المصرفي الذي فتحه رالف بإسمها، إضافة الى كل ما اشترته بماله.

كتبت رسالة الى ماكس، اعتذرت فيها مطولاً اذ اضطرت للرحيل وتركته دون مساعد، ثم ذهبت الى مركز الاستعلامات للسياح في المدينة واستفهمت من أين تستطيع ان تستقل الباص. فعلت ليديا ذلك، وسمعت اصوات ابواق متكررة، فأعادت اليها ذكرى الأيام الماضية.

اقتربت منها فتاة شابة وهي تحمل دفترًا صغيراً في

يدها، وانتظرت لتسجل ما تطلبه، انها النادلة التي احتلت مكان الفتاة الهولندية، تلك التي تكلم رالف معها عندما كانا معا، وبدا لليديا بأن ذلك قد حصل منذ عدة سنوات، ثم طلبت عصير فواكه، واذ استدارت النادلة لتذهب، سألتها ليديا: «هل هناك غرف شاغرة لديكم؟»

«سوف استعلم عن الأمر.» بعد دقائق، عادت النادلة وهي تحمل العصير. «يقول المدير بأن هناك غرفتين. والغرفة الاصغر هي الأرخص.»

قالت ليديا: «شكرا.» ودفعت الحساب. حركت مكعبات الثلج بواسطة القشة، ثم شربت من الكوب، سرحت عيناها وقد تذكرت جمال الهضاب، مناظر الحقول الخضراء والاشجار على التلال لكنها تتسلق نحو القمة. كما عاد الى ذاكرتها منظر الجبال الشاهقة التي ارتفعت بفخر وراها وقد بدت بعيدة وشامخة.

قالت ليديا للمسؤولة: «اود ان استأجر غرفة لبضعة ايام.» نظرت المرأة إليها بقليل من الريبة ثم حدقت بحقيبتها. قالت: «هل لديك المال الكافي لتدفعي الإيجار؟»

قالت ليديا: «أه، هل ابدو فقيرة الى هذا الحد؟» وأدركت بأن طلبها للعمل قد أثار شبهاة السيدة: «نعم، لدي المبلغ الكافي.» اكدت ليديا للسيدة، ثم حملت حقائبها وانتظرت لكي تقودها الى غرفتها.

مرت الشابتان بالقرب من البيانو الذي لاحظت ليديا أمر وجوده إثر زيارتها الأولى للمكان. ومشت ببطء فما لبثت المرأة الأخرى ان استدارت.

سألتها المرأة: «هل تجيدين العزف؟ هل تريدين الحصول على عمل؟»

اومأت ليديا رأسها بالايجاب موافقة فقالت لها: «يمكنك ان تعزفي على البيانو في السهرات لزبائننا. لن يدفع لك الكثير، ولكن يمكنك، بواسطة راتبك، تغطية تكاليف الطعام والإقامة.»

عبرت ليديا عن فرحتها وبدأت بالعمل في تلك الامسية. مضى على وجودها في الفندق اسبوع واحد عندما دخلت إليه مجموعة من الجنود، تصاعدت صيحات الفرح وضحكوا كثيرا، لكنهم كانوا جميعا يصمتون عندما كان احدهم يشير إليها.

كانت ترتدي قميصا من القطن الأزرق يناسب بنطالها. وقد عقدت شعرها على شكل ذيل حصان، إذ وجدت بأن تلك التسريحة كانت الافضل بالنسبة لنوع عملها. استمعت ليديا الى الاصوات التي كانت تصدر عنهم. ولكن صمتهم الرهيب ملأها بالريبة وفكرت ليديا بأن الصوت الصادر عن مقاعدهم كان يعني بأنهم سوف يغادرون. ولكنها اكتشفت بأن الأمر لم يكن كذلك.

صرخت ليديا: «رجاء، هلا غادرتم المكان؟» دهش الشبان لسماعهم كلمات لم يتمكنوا من فهمها، فصمتوا لبعض الوقت ثم ضحك احدهم.

بعد ذلك صرخ شخص من وراتهم. ورنت اصداء كلمات باللغة الالمانية، عندها استدارت ليديا ولم تستطع تصديق عينيها. هتفت ليديا بصوت ملؤه التأثر: «رالف، ماذا قلت لهم؟»

اخبرها رالف ببرودة: «لقد قلت لهم، يجب عليهم الآن تركك وشأنك. لذلك أمرتهم بلهجة قاسية ان يهدأوا وأوضحت لهم بأنك ملكي.»

كان الشبان الذين تراجعوا ينظرون الى رالف بعصبية وهم في مقاعدهم.

قالت ليديا بصوت خافت يشوبه الانفعال: «انت مخطيء، فأنا لست ملك احد سوى نفسي.»

حرك رالف ذراعه كأنه يود محو ما قالته: «هلا جمعت امتعتك؟»

«لن اطيع أوامرک او حتى اتقبلها. فرحيلي من منزل آل فلدر يجب ان يكون قد أوضح لك بأنني لا أود رؤيتك ثانية، أليس كذلك؟»

هم رالف بالرد عليها ولكنه بدل رأيه إذ لاحظ اهتمام الجنود الكبير بما يدور بينهما، فقال: «هيا، اجلبي امتعتك، هلا فعلت ذلك؟ فنحن لا نستطيع ان نتكلم هنا.» تبعت ليديا اتجاه نظره ووافقت في قرارة نفسها على كلامه إذ انها علمت بأنه محق. ولكنها صممت بالاستسلام لقراره نهائياً: «ان ذهبت معك، عدني بأن ابقى محتفظة بحق العودة الى هنا او الذهاب الى مكان آخر.»

مع ذلك، فعلت ليديا كما طلب منها رالف. فعادت وهي تحمل امتعتها التي وضعتها بسرعة في الحقائب، ثم وجدت رالف يتحدث مع المسؤولة. وابتسمت تلك المرأة بدفء لها.

قالت المسؤولة: «لو قلت لي من تكونين، لكنت رتبت

أمر بقائك في افضل الغرف وذلك من دون مقابل.» نظرت ليديا إليه: «من أكون؟» سألته بصمت ولكنه رسم ابتسامة باردة على وجهه. إذن، فهو قد قال كذلك للسيدة بأنها ملكه.

قال لها رالف وهو يسير أمامها: «لقد اوقفت سيارتي في الخارج.» أخذ منها الحقائب ووضعها في الجهة الخلفية للسيارة. وأشار الى المقعد الأمامي بيد حازمة. ففكرت ليديا بأنها لن تستطيع مخالفة أوامره حتى لو انها ارادت ذلك.

اهتم رالف بأمر حزام الأمان وأغلق الباب بإحكام، ثم جلس خلف عجلة القيادة. وقاد السيارة بمهارة فائقة، خصوصاً وان الطريق كانت وعرة ومتعرجة.

سألته ليديا بصوت متعب: «كيف عرفت اين تجدني؟» «كنت قد اخبرتك بأن المسؤولين عن مجموعة فنادق فلدر كانوا ينوون شراء هذا المكان. وهكذا كان، فقد اشتريناه وننوي الآن توسيعه.»

اعترفت ليديا في قرارة نفسها. بأنها قد نسيت الأمر ووبخت نفسها على ذلك.

«لقد اتصلت المديرية بالفندق. فهي قد لاحظت إشارة فندق بانوراما الكبير على حقائبك، وفكرت بأن تستعلم عنك هناك. لقد وضعت رسالتها على مكنتي ولم أرها سوى عندما عدت من زوريخ. فقد غادرت في الصباح الباكر بعد يوم الاحتفال.»

«أنا كذلك.»

هز رالف رأسه: «لم ألاحظ خروجك المفاجيء. عندما قرأت

الرسالة بعد الظهر، اعتبرتها القطعة الأخيرة التي كانت ضرورية لحل العضلة، فقد وظفت عدة اشخاص للبحث عنك، ولكنني قد وصلت اولا الى هنا.»

«و... وأخذت صديقتك معك الى زوريخ، طبعاً.»

قال: «صديقتي؟ ان كنت تعنين لورا مارشان، فالجواب هو لا، لقد عادت الى لندن وغادرت سويسرا نهائياً. هل فرحت لسماع الخبر؟»

سألت ليديا بلهجة تحد وهي تشعر بالارتياح لهذا الخبر السار: «لماذا علي ان افرح؟» لكنها لم تدرك سبب هذا الشعور. فلورا وهذا الرجل لا يعنيان شيئاً بالنسبة لها.

بدا لها بأن الجميع أي العائلة وليليان والخدم كانوا هناك مستعدين لملاقاتها. حدثت ليديا باندهاش. سألت رالف: «لماذا؟»

اجابها رايموند: «ألم تعلمي، بأن القصة قد ظهرت على الصفحات الأولى؟»

قالت مارتينا وهي تبتسم كأنها تهنيء نفسها على الدور الذي لعبته والذي ساعد على تحرير رالف من براثن لورا: «زوجة رجل أعمال بارع تختفي.»

سأل ماكس بتعجب: «يا عزيزتي، لماذا فعلت ذلك؟ سوف تحظين بمستقبل باهر، وسوف تتحقق كل احلامك. على الرغم من ذلك، فقد لذت بالفرار.»

قال رايموند وهو يضع ذراعه حول كتف ليليان التي كانت تبتسم له، كما لاحظت ليديا: «اتساءل لماذا فعلت ذلك، هل ان شقيقتي، رجل الاعمال الشهير، قد اخطأ،

وللمرة الأولى في حياته المهنية، بسبب تمسكه بالأراء المسبقة، وهكذا فقد حكم بطريقة خاطئة على أحدهم؟» قال شقيقه بحدة: «إهدأ، والآن، رجاء، تفرقوا جميعاً... ارجوك اعذرنى يا والدي... ولكنني سوف ارافق ليديا الى غرفتها، فهي بحاجة ماسة للراحة.»

قالت: «كلا، لست بحاجة للراحة.» لكنها تبعت رالف الذي وضع الحقائب في غرفتها ثم وجدت نفسها تدفع بقوة حتى وصلا الى جناحه.

عندما نظرت الى هيتها في المرأة، علمت ليديا كم كانت تبدو مشعثة الشعر. لقد ظهرت على وجهها علامات الارهاق الناتج عن السهر، كذلك الامر بالنسبة لحزنها العميق.

قال رالف وهو ينظر إليها، غير أنه بمظهرها العديم الترتيب: «نحن بحاجة للتحدث، انت وأنا.»

اجابت ليديا وهي مرفوعة الرأس: «لا استطيع ان اتكهن بموضوع محادثتنا.»

«انها عن الشخصية أليس كذلك؟ وعن مميزات كل انسان؟ إذا.» أكمل رالف بعد ان صمت قليلاً: «انا لست فقط عنيدا، عديم الشعور وأنانيا... تلك الصفات الثلاث التي نعنتي بها، كما قال أخي، بل انا ايضا غير قادر على الحب؟ ما عدا حب الذات، بالطبع.» مررت ليديا اصبعها على ذراع الكرسي وتبعت عيناها مساره: «أنا اعتبر سكوتك علامة تأييدك كما قلت سابقاً.» اكمل رالف: «في هذه الحال، من الافضل ان اخرج من حياتك، أليس كذلك؟»

مالت ليديا برأسها الى الورا ثم نظرت الى رالف وهي تشعر بوقع الصدمة. كيف لها ان تشرح له بأن ذلك يعني وضع حد لحياتها كلها.

واستعملت طريقة الدفاع الهجومي فأجابته: «ماذا عن رأيك عني؟ تلك الليلة، انهلت علي بالإهانات، إذ تكلمت عن طموحاتي التي حاولت تحقيقها... وذلك بالجري وراء المكانة الاجتماعية الرفيعة والثروة. اللذين تدعي كما قيل لي، بأنهما هدف كل النساء. ولكن ما خلف جرحا كبيرا في نفسي هو ادعاؤك بأنني اتفقت مع مارتينا على ان أعلن بأنني زوجتك المستقبلية. في الحقيقة، لقد قمت بقياس الثوب، ولكنني فعلت ذلك لأسدي خدمة لها. فهي أرادت التأكد من ان الثوب لا يحتاج الى تعديلات. وقد كان الثوب فعلا نجم العرض كله.»

«الفتاة التي كانت سوف تعرضه قد تعرضت لحادث وجرحت بسببه.»

قالت ليديا لرالف: «إذن، انت تعرف حقيقة ما جرى.»
«نعم، فمارتينا قد اعترفت لي بكل شيء. لم تصب الفتاة بجراح. لقد كانت هناك، وراء الستارة، وجاهزة لعرض الثوب في حال رفضت ذلك. وكان هدف مارتينا، كما علمنا جميعا بعد الحفل، هو طرد لورا مارشان من حياتي وإدخالك إليها. وفعلا، فقد نجحت بالنسبة للورا مارشان، اما بالنسبة لك...»

لم تستطع ليديا سوى التحديق به. نظر رالف إليها وكانت تعابير وجهه مبهمة. تحرك نحو الباب، فتحه، ثم قام بحركة خفيفة: «أتودين الخروج من

حياتي؟ ان كان ذلك ما تتمنينه، ارجوك افعلي ذلك.» نظرت ليديا الى الباب ثم الى رالف. لو كان يشعر بشيء تجاهها لما كان وضعها امام هذا الخيار. على العكس، كان قد رجاها بالأ تخرج من حياته.

فكرت ليديا، ان كانت تلك هي نهاية القصة، يجب علي الرضوخ للأمر الواقع. وقفت وتوجهت نحو الباب. أه لو لم تكن رجلاها ثقيلتان، فهما ترتجفان كثيرا. وعندما وصلت الى الباب، ترددت كثيرا، استجمعت قواها وتذكرت الخاتم. استدارت لتسلمه الى رالف وهكذا كان، فقد أخذ رالف من دون التفوه بكلمة، وعلمت ليديا بأنها النهاية حتما، ويجب عليها ان تواجه المستقبل لوحدها وبشجاعة كبيرة.

شعرت بيد تمسك ذراعها وتجبرها على ان تستدير. «أه، كلا، لن تذهبي. هل اعتقدت حقا بأنني سوف اسمح لك بالذهاب؟ أنا أريدك، ابتها المجنونة، وأرغب بك من كل قلبي. ألا تفهمين ذلك؟»

صرخت ليديا: «أفهم ذلك؟ كلا، لا أفهم، فأنت ترغب بي لأكون اداة. لا حاجة لتخبرني بأنك تقدم لي حبك، فانا لن اصديقك. عندما اعطيتني الخاتم، أمليت علي شرطا واحدا. لا وعد بالحب.»

«لو كنت وعدتك بالحب في ذلك الوقت، هل كنت لتصدقيني؟ فنحن كنا بالكاد نعرف بعضنا البعض.»

«ولكنني...» ونظرت إليه. هل علم بما همّت بقوله؟
«ولكنك... قولي لي ما الأمر؟ قولي لي.» أمرها وهو يصصر على اسنانه.

«ولكنني كنت... كنت قد وقعت بالحُب منذ ذلك اليوم.»

سأل رالف: «حُب شقيقي؟»

«كلا، كلا! وقعت بحُبك أنت. الآن تعرف كل شيء. هل

ان اعترافي يفرحك؟ فأنت لن تود بعد اليوم ان تكون لك

أي علاقة بي، انا الفتاة الطموحة المولعة بالاكتساب

والتي تركض وراء المال والمك...»

قطع رالف سيل كلامها بقوله: «سوف تصبحين زوجتي،

قولي لي بأنك سوف تتزوجيني.»

«أه، ولكنني... ولكنني.»

«هل تحتاجين الى برهان يبين لك مدى حبي؟»

سألت ليديا بتعجب: «انت تحبني؟»

«نعم، وذلك منذ اللحظة الأولى التي وقع فيها نظري

عليك عندما رفعتك عن حافة الطريق حيث وجدتك بعد

الحادثة كذلك، عندما كنت في طور الشفاء، لم استطع

مقاومة عينيك البراققتين ونظرتهما التي تعج بالتساؤلات.

كذلك الأمر بالنسبة للموسيقى التي ترن نغماتها في

صوتك. بالإضافة الى ذلك، انت تملكين العديد من

الميزات الأخرى.»

بعد وقت قليل، جلس الاثنان على اريكة وضعت في

مكان يشرف على مناظر خلابة.

قال: «هناك العديد من الاعمال التي يجب علي

انجازها.»

«هل سترحل ثانية؟ ربما لزيارة لورا؟»

نظر رالف إليها وقال: «هل تشعرين بالغيرة؟ لا يمكن ان

يكون الأمر كذلك يا ليديا.»

«ولكن عندما وصلت الى هنا، أخذني رايموند الى

غرفتك، فرأيت صورة لها هناك.»

«لقد اعطتها لي بنفسها وذلك مع الإطار. ووضعتها

هناك إذ انني لم اعثر على مكان آخر اضعها فيه.

اسمعي يا حبيبتي...» ونظر إلى ملامحها المعبرة: ثم

أصاف: «انا لم اشجع لورا ابدا، حتى انني لم أقع في

فخها وتجنبت كل خططها للايقاع بي في شركها. فما

أرادته لورا بالمقابل كان... هل اتلفظ بتلك العبارات

مجددا؟»

اكملت ليديا: «المال والمكانة الاجتماعية.» وضحكا. نظرت

ليديا الى رالف نظرة ارادتها خبيثة: «متى اكتشفت بأنني

لا أجري وراء هذه الاشياء؟»

«من الصعب علي ان اقول لك ذلك. في بادىء الأمر،

ومع انني كنت منجذبا إليك، اردت إرغام نفسي على

الاعتقاد بأنك لست مختلفة عن باقي النساء. ومن ثم

بدأت تروقين لي اكثر وأكثر.»

«كنت قد اقسمت بالأ تدع امرأة تتلاعب بعواطفك ثانية،

كما قال لي رايموند.»

«هل فعل ذلك، في يوم من الايام، سوف احطم

جمجمته لأنه يروي الأكاذيب. ولكن يجب علي ان

اعترف بأن فتنتك قد حطمت كل أساليبى الدفاعية وقد

ازعجني ذلك كثيرا.»

«لماذا أهديتني تلك الساعة؟»

«لم أود امتحانك، كما ادعيت في حينها. هل تصدقيني

بأنني وددت، وبكل بساطة اهداك إياها، كما قلت في

حينها، كنت أريد ان أبرهن بأنني لست وغداً أناانياً لا يفكر سوى بنفسه.»

«لم استعمل ابداً تلك الكلمة.»

رفع رالف كتفيه: «حسناً، لقد اضفتها الى سجلي الحافل، والآن... هناك شيء ما يجب القيام به.» وتوجه الى درج في الخزانة وأخرج منه علبة بدا منظرها مألوفاً لدى ليديا: «اعطني معصمك يا عزيزتي.»

وضع الساعة في مكانها ولم تستطع ليديا سوى ان تتأملها بإعجاب. قالت: «انها رائعة يا رالف. لا يمكنني شكرك كفاية لأنك اهديتني إياها، ولكن حقاً، لم يكن...»

«ان رفضت اخذها ثانية... سوف استعمل أساليب أخرى لاقناعك بقبولها.» ورفع يدها ثانية: «الخاتم، لقد أعدت الخاتم إلي كذلك.» هز رالف رأسه وهو يدعي الغضب: «لم التق مرة بفتاة ترفض قبول الاشياء الثمينة لمجرد انها ثمينة. وسوف اشترى لك الماس او ايا من الاحجار الكريمة الأخرى التي ستختارينها.»

«ولكنني اعشق خاتم والدتك يا رالف.»

قطب رالف حاجبيه: «ليس له قيمة مالية كبيرة.»

«هذا ليس مهما بالنسبة لي، إنه يشكل صلة وصل مع الماضي... ماضيك... لذلك، فهو بنظري يساوي أكثر بكثير من قيمته المادية.»

بدا رالف مذهولاً، ثم فتش عن الخاتم، وأعادته إلى مكانه في اصبع يدها.

«لقد اكتشفت لؤلؤة بين النساء، وليس ماسة. ذلك ان

الماس باهظ الثمن، ولكن لؤلؤتي هي رائعة الجمال، والآن، تعالي يا حبيبتي. يجب ان ننزل ونعلن للعائلة خطوبتنا، اعني خطوبتنا الحقيقية.»

«رالف...» توقف رالف لينصت إليها: «ان كنت... تحبني، فلماذا بدا عليك الغضب عندما اعلنت مارتينا عن أمر خطوبتنا؟»

«لم تحزري بعد؟ لقد حدث ذلك لأنني اعتقد بأنكما قد خنتما ثقتي، مارتينا وأنت. فقد اتفقنا على إبقاء الأمر سرا، وبالأخص يعلم أحد سوى افراد العائلة بالإضافة الى ذلك... فقد اردت ان اقوم انا بنفسى بإعلان خطوبتنا ولم أود ترك أي شخص آخر يفعل ذلك.»

«طبعاً، بعد ان تأخذ رأيي، أليس كذلك. وتطلب مني ان اقبل بأن اكون زوجة لك.»

اجاب رالف وهو ينفجر ضاحكاً: «ليس ذلك ضرورياً. فآنا لم أكن لأقبل جواباً سلبياً من قبلك، على كل حال.»

همست: «هل سبق وقال لك أحدهم كم انت متعجرف؟» «أه، حدث ذلك مرات عديدة.»

توقف رالف عند رأس السلم وجعل ليديا تستدير نحوه: «لنكن واضحين اولاً. انا اقطع عهداً بأن احبك من كل قلبي، يا ليديا هايلي، وبأن اظل احبك طوال حياتي كما احبك اليوم.»

«وسوف احبك يا رالف فلدر حتى آخر عمري»

وصلا الى الردهة وأيديهما متشابكة، فوجدا العائلة بأكملها تنتظر قدومهما.

نظر ماكس الى يد ليديا ورأى الخاتم. سأل ماكس بصوت مخنوق: «الخطوبة هل اصبحت حقيقة؟»
 «لقد اصبحت حقيقة الآن يا والدي.» ثم نادى شقيقته: «مارتينا...» ردت مارتينا لشقيقه بابتسامة.
 فقال: «سوف نحتاج لثوب الزفاف عما قريب.»
 صفتت مارتينا ثم رسمت بإصبعها علامة النصر.
 تقدم رايموند ثم قال: «هلا عذرتني يا رالف...» ثم قبل ليديا على خديها وقال وهو يبتسم: «هل كان للقبليتين الطابع الأخوي المناسب يا شقيقي؟»
 أخذ ماكس ليديا في احضانه: «شكراً إذ ان ابني عاد الى رشده واختارك زوجة له.» واستدار نحو ابنه وصافحه: «سوف أبوح لكما بسر. نحن، أي رايموند وأنا كنا على اتفاق مع مارتينا في ليلة الاحتفال.» بعدها ضمت مارتينا الجميع حاضنة إياهم بين ذراعيها.
 وقد بدا كأن جمالهما قد ازداد بفعل الفرح والسعادة فغديا قادرين على استيعاب سعادة العالم بأسره.

تمت